المختار من الوصايا

محمد رمضان الجبور

(الصورباهري)

2019

بسم الله الرحمن الرحيم

(19)إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)

سورة المزمل

إهداء

إلى زوجتي مع خالص الحب والتقدير

إلى أولادي....

قصي...آلاء...ولاء...

متمنيا لكم التوفيق والنجاح

في الدنيا والآخرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) .

اللهم إني أسألك باسمك الأعظم ، الأعزّ الأجلّ الأكرم ، الذي إذا دعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت ، وإذا دعيت به على مضايق أبواب الأرض للفرج انفرجت ، وإذا دعيت به على العسر لليسر تيسرت ، أن تيسر أمورنا ، وتسدد خطانا ، وتلهمنا الصواب من القول ، وتجعل لنا من كل ضيق مخرجا .

تعد الوصايا من فنون النثر الأدبي التي وجدت طريقها إلى قلوب الكثيرين من الناس ، لما تحمله من معاني وحكم بليغة ، وإشارات تضم في طياتها العقل الواعي النير ، والخبرة المكتسبة .

وتأتي أهمية الوصايا في تاريخنا بأنها تعد من السجلات الهامة التي ترصد حركات التاريخ وتسجلها بدقة ، خاصة تلك التي نطلق عليها الوصايا السياسية ، كما أنها تكشف عن عقلية المجتمع وعن أفكاره واهتماماته ، بالإضافة لما لها من أهمية كنوع من النثر الأدبي الذي له خصوصيته .

ويرجع تاريخ الوصايا إلى العصر الجاهلي ، فهناك الكثير من الوصايا التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي منها على سبيل المثال لا الحصر ، وصية ابن شداد لابنه ، وصية الأعشى لابنته ، وصية النعمان بن المنذر لجماعة من زعماء العرب ، ووصية أمامة بنت الحارث

لابنتها ليلة زفافها ، ووصية سحبان بن وائل للناس، ....وغيرها .

ثم جاء الإسلام وبقيت للوصايا أهميتها ، فوجدنها عبر عصور الإسلام المختلفة ، بل ربما زادت وأخذت رونقها وأسلوبها الخاص ، فأصبحت مطلب كثير من الناس.

والذي يبحث عن الوصايا يجدها متناثرة في كتب التراث الأدبي منها على سبيل المثال لا الحصر ، البيان والتبيين للجاحظ ، تاريخ الطبري ، حياة الصحابة ، سير أعلام النبلاء ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ، أمالي القالي ، التذكرة الحمدونية لابن حمدون ....وغيرها . في هذا الكتاب حاولت أن أصنف الوصايا حسب موضوعها ، فهناك وصايا الآباء للأبناء ، وصايا النساء ، وصايا الحكماء ،

غير أني أفردت في بداية الكتاب ، وصايا القرآن الكريم وتحدثتُ عنها بإيجاز لأنه يطول البحث فيها وتحتاج إلى جهد خاص ، ثم عرجتُ على وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وصايا الخلفاء الراشدين ، لما لوصايا هؤلاء رضوان الله عليهم من أهمية . وقبل أن انتهي من هذه المقدمة الموجزة ، أرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا إلى الصواب من القول ، ويهدينا إلى طريق الحق ، ويجمعنا على حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأن يتقبل منّا هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم .

محمد رمضان الجبور

الباب الأول

(102)فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103)
سورة النساء

وصايا القرآن الكريم

المعنى اللغوي والاصطلاحي للوصية

الوصية في اللغة بمعنى العهد ، وأوصى الرجل ووصاه : عهد إليه .

وقد عهدتُ إليه ، أيّ أصيته ، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة .

ويقال : أوصاه ، ووصاه توصية : عهد إليه ، والاسم الوصاة ، والوصاية والوصية .

والعهد : هو حفظ الشيء ، ومراعاته حلا بعد حال ، هذا أصله ، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته ، وهو المراد .

والوصية وصيتان : وصية الأحياء للأحياء : وهي أدب ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وتحذير من زلل ، وتبصرة بصالح الأعمال . [1]

---

[1] وصايا الخلفاء والأمراء السياسية والإدارية في العصر العباسي الأول ، محمد جاسم الحديثي، ص4

وصايا القرآن الكريم

خير ما نبدأ به كلام الله ، فقد ورد في كتاب الله الكريم مجموعة من الوصايا بطرق متعددة ، وقد وردت الوصية في القرآن الكريم بألفاظها ومعانيها اللغوية والاصطلاحية الفقهية في (33) آية ، كما فسرها علماء التفسير فقد قال تعالى " **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** " [2]

وقال تعالى " **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا**" [3]

وقال تعالى " وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون " [4]

وقال تعالى " **وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيّا** " [5]

فمرة تكون الوصية بأمر من الله مباشرة ، كما في الآية " **ووصينا الإنسان بولديه حملته أمه وهنٍ على وهن وفصله في عامين أن أشكر لي ولولديك إليّ المصير** (44) لقمان .

---

[2] سورة البقرة ، الآية 132

[3] سورة النساء ، الآية 131

[4] سورة الأنعام ، الآية 152

[5] سورة مريم ، الآية 31

وفي سورة الأنعام يقول الله تعالى " **قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصكم به لعلكم تعقلون (151) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصكم به لعلكم تذكرون (152) . الأنعام.**

فهذه مجموعة من الوصايا جاءت بطريقة الأمر :

1) عدم الإشراك بالله .
2) احترام الوالدين ومعاملتهم باللطف والإحسان .
3) عدم قتل الأولاد من الفقر، سواء كانوا ذكورا أو إناثا فالله هو الرازق .

4) عدم الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن .
5) تحريم قتل النفس إلا بالحق .

6) عدم قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن .
7) أوفوا الكيل والميزان .
8) العدل.
9) الوفاء بعهد الله .

والقارئ لكتاب الله العزيز يجد العديد من المواضع التي يوصي فيه الله سبحانه وتعالى عباده المرة تلو الأخرى ، يوصيهم بالصبر ، بالعبادة ، بالتوحيد ، بالعمل ليوم الحساب ، بالعمل لنيل رضى الله ومحبته والفوز بجنته ..وقد تأتي الوصايا على لسان عبد من عباد الله ، كما جاء في سورة لقمان :

10) تبدأ الآيات الكريمة بوصف لقمان بأنه حكيم آتاه الله الحكمة . والحكمة هي سداد الرأي والقول الفصل في شؤون الحياة ، ولقمان كما تذكر كتب التفسير رجل صالح نوبي أسود من عامة الناس ، وهذا أول الدروس ، فإن الله تعالى لا ينظر إلى أنساب عباده ولا إلى أموالهم ولا إلى سلطانهم وجاههم ، بل ينظر إلى إيمانهم وتقواهم وعملهم الصالح . كما قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ثم تبدأ مواعظ لقمان لابنه فيقول الله تعالى على لسان لقمان :

1. (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنيَّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم).

هذه هي الوصية الأولى : وهي رأس الوصايا ، توحيد الله تعالى وإخلاص العمل له ، فلا يتحرك

المسلم ولا يسكن ولا يقول ولا يفعل ، إلا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته . متمثلاً قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين).

2. بر الوالدين ، وشكرهما بالقول والعمل . فقد قرن الله عبادته بالإحسان إلى الوالدين : (أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير). وكما قال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا).

3. إتباع سبيل المؤمنين والاقتداء بالصالحين ومصاحبة أهل التقوى ومكارم الأخلاق كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

4. خشية الله تعالى ومراقبته : وهذا ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان في قوله الكريم : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). وتتمثل هذه الخشية والمراقبة في أن نعلم أن الله لا تخفى عليه خافية وانه يعلم سرنا وجهرنا ، فإذا علمنا ذلك أطعنا الله ولم نعصه سرًا وعلانية ، وابتعدنا عن أسوأ الخصال وهي النفاق ، وإظهار غير ما نبطن ، فنكون من أصحاب الوجهين ، وإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا .

5. إقامة الصلاة : وذلك بأدائها في أوقاتها والخشوع فيها وتدبر ما تقرأ وما تقول ، والاطمئنان في حركاتها ، فإن فعلنا ذلك كنا من المصلين أهل الفضائل ومكارم الأخلاق وصدق

الله العظيم : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).

6. الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هذه هي الوصية السادسة من وصايا لقمان لابنه ، بأن يكون على الدوام داعيًا إلى الله تعالى مبلغًا رسالة السماء ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، ولا تتكون شخصية المسلم الحقة إلا إذا كان كذلك .

7. الصبر والتمسك بسيرة الصابرين ، لأن الله مع الصابرين ، والصبر باب الاستقامة والثبات على الدين ، واعلموا يا أبنائي الطلاب أن الصبر ثلاثة أنواع : صبر على الطاعات ، وصبر عن المعاصي ، وصبر عند الشدائد والمصائب .

فتعوَّدوا على الصبر الذي قرنه الله سبحانه وتعالى بالصلاة فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين).

8. يقول الله تعالى : (ولا تصعر خدَّك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحًا ، إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور).

هذه الوصية من أهم الوصايا في أخلاق المسلم وسلوكه مع الناس ، إنها تنهي عن التكبر وعن التعالي على الآخرين ، فالخلق كلهم عيال الله ، وأكرمهم عند الله أتقاهم ، فإذا أردتم أن تفاخروا الناس ففاخروهم بالتقوى والعمل الصالح ، وبالعلم والخلق الحسن ، وإياكم أن تستعلوا عليهم بمتاع الدنيا من مال وقوة وجاه وعصبية وقبلية ، فإن الله نهى عن ذلك ، وأمرنا بالتواضع والتسامح

وعدم احتقار خلق الله . وفي الحديث الشريف : [لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر] .

9. القصد في المشي في قوله تعالى : (واقصد في مشيك) .

ومعنى ذلك ألا تمشي مختالاً متفاخرًا ، بل يكون مشيك بتواضع وتؤدة ، لأن مظهر الإنسان يدل على شيء من مخبره .

10. غض الصوت في قوله تعالى : (واغضض من صوتك) ، الآية . أي لا ترفع صوتك أثناء الكلام ولا تصخب ، بل تكلم بهدوء وسكينة ، فهذا أدعى لقبول الكلام عند الآخرين ، وأقرب للوقار والجدية ، يقول تعالى : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم).

هذه عشر وصايا قرآنية وردت على لسان لقمان الحكيم .

الباب الثاني

*(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)

سورة الحشر آية 7

وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

* عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي عليه السلام بثلاثة:

اسمع وأطع ولو لعبدٍ مجدوّع الأطراف.

وإذا صنعت مرقه فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف.

وصلَّ الصلاة لوقتها وإذا وجدت الإمام قد صلّى فقد أحرزت صلاتك وإلا فهي نافلة.

*عن معاذ رضي الله عنه قال: أخذ بيدي رسول الله فمشى قليلاً ثم قال: يا معاذ أوصيك بـ: " تقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورُحم اليتيم، وحفظ الجوار، وكظم الغيظ، ولين الكلام وبذل السلام، ولزوم الإمام، والتفقه في القرآن، وحُب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل. وأنهاك : أن تشتم مسلماً، أو تُصدق كاذباً، أو تُكذب صادقاً أو تعصي إماماً عادلاً، وأن تُفسد في الأرض. يا معاذ: اذكر الله عند كل شجر وحجر، وأحدِث لكل ذنب توبة، الستر بالسر والعلانية بالعلانية.

*عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع:

أمرني بحب المساكين والدنو منهم.

وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي.

وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت.

وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئا.

وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مُرّاً.

وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم.

وأمرني أن أُكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش.

* عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه فقال له: " زُر القبور تذكر الآخرة، واغسل الموتى، فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصلّ على الجنائز لعل ذلك أن يُحزنكً فإن الحزين في ظل الله يتعرّض كل خير".

* عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل: إن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ".

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصاني ربي بسبع أوصيكم بها:

1. أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية.
2. والعدل في الرضا والغضب.
3. والقصد في الغنى والفقر.
4. وإن أعفو عمّن ظلمني.
5. وأُعطي من حرمني.
6. وأصل من قطعني.
7. وأن يكون: صمتي فكراً، ونُطقي ذكراً، ونظري عِبَراً".

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعلِّم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة: قلت : أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعدّ خمساً فقال:

1. اتّق المحارم تكن أعبد الناس.
2. وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.
3. وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً.
4. وأحبَّ للناس ما تُحبّ لنفسك تكن مسلماً.
5. ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"

- عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال: " يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: "أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ مسلم من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه".

- عن أبي عباس قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف.
-

عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله! إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني فأنبئني عن كل شيء؟ فقال ":كل شيء خُلق من ماء" قال:

قلت يا رسول الله أنبئني عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنّة؟ قال: " أفشِ السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقُم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام".

*عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت:

1. صوم ثلاثة أيام من كل شهر.
2. وصلاة الضحى.
3. ونوم على وتر".

- عن شدّاد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، ولْيُحدّ أحدكم شفرته، ولْيُرِح ذبيحته".
- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة".

* عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة:

اصدقوا إذا حدّثتم.

وأوفوا إذا وعدتم.

وأدّوا إذا اؤتمنتم.

واحفظوا فروجكم.

وغضوا أبصاركم.

وكُفّوا أيديكم".

* قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: اغتنم خمساً قبل خمس:

شبابك قبل هرمك.

وصحتك قبل سقمك.

وغناك قبل فقرك.

وفراغك قبل شغلك.

وحياتك قبل موتك".

- عن أبي عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: السّفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه، وشرابه، ونومه فإذا قضى نهمته فليعجّل إلى أهله".

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: " ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيّوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".
- عن أبي هريرة قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم " :المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء قلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان.

* عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اتّقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّحّ، فإنّ الشُّحّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهمـ واستحلّوا محارمهم".

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم.".

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا: يا رسول الله وما هُنّ؟ قال:

الشرك بالله

والسحر

وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق

وأكل الربا

وأكل مال اليتيم

والتولّي يوم الزحف

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"

*عن البراء بن عازب قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم " :إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن. ثم قُل: "اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت"، فإن مُتَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهنّ آخر ما تتكلم به. قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغتُ: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت. قلت: ورسولك؟ قال: " لا ونبيّك الذي أرسلت".

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه.".

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بادروا بالأعمال سبعاً: ما تنتظرون إلا:

1. فُقراً مُنسياً
2. أو غنىً مُطغياً
3. أو مرضاً مُفسداً
4. أو هرماً مُفَنداً
5. أو موتاً مُجهزاً
6. أو الدجّال، فإنه شرٌ غائب منتظر.
7. أو الساعة والساعة أدهى وأمرُّ.

* عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات، هنّ إليّ أحبّ من الدنيا وما فيها، قال لي: يا أبا ذر : أحكِم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزّاد فإن السفر طويل، وخفّف عن ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير".

(كؤود: بمعنى لا تستطيع أن تزيلها، عقبة ثابتة.

- عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :إنّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خُلِق آدم وفيه قُبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات فقال:

لا تُشرك بالله وإن قُتلت وحُرقت

ولا تعُقنّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك

ولا تتركنّ صلاة مكتوبة متعمداً، فإنّ من ترك صلاة مكتوبة متعمّداً فقد برئت منه ذمة الله

ولا تشربنّ خمراً فإنه رأس كل فاحشة

وإياك والمعصية فإنّ بالمعصية حلّ سخط الله

وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس

وإن أصاب الناس موت فاثبت

وأنفق على أهلك من طولك

ولا ترفع عنهم عصاك أدباً

وخِفهم في الله.

الباب الثالث

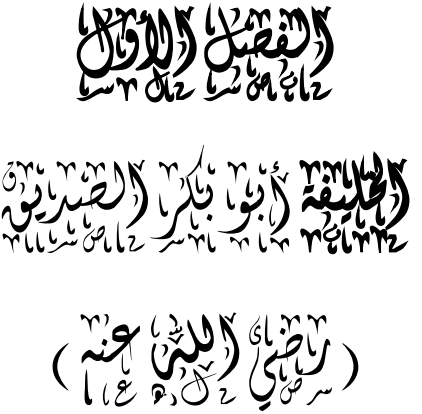

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)

عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التميمي القرشي ، أبو بكر ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، ولد بمكة ، ونشأ سيدا من سادات قريش ، وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها ، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش ، وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية ، فلم يشربها .

بويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة 11هـ . فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة ، وافتتحت في أيامه بلاد الشام ، وقسم كبير من العراق ، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر ، توفي في المدينة ، كان لقبه الصدّيق في الجاهلية . وقيل في الإسلام لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء .

وأم أبي بكر بنت عم أبيه اسمها:سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب وتكنى أم الخير.

ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر ،فإنه مات وله ثلاثة وستون سنة.

وكان منشؤه بمكة لا يخرج منها إلا لتجارة ،وكان ذا مال جزيل في قومه ،ومروءة تامة وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر ،وتقري الضيف.

قال العلماء :صحب أبو بكر النبي عليه الصلاة والسلام من حين اسلم إلى حين توفي لم يفارقه سفرا ولا حضرا إلا فيما أذن له عليه الصلاة والسلام في الخروج فيه من حج وغزو وشهد معه المشاهد كلها ،هاجر معه وترك

عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار |،قال تعالى:"ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا" قام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع وله الآثار الجميلة في المشاهد، وثبت يوم احد ويوم حنين وقد فر الناس.

أبو بكر الصديق في أحاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد ألخدري قال :خطب رسول الله عليه الصلاة والسلام الناس وقال : إن الله تبارك وتعالى خيّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى ،فبكى أبو بكر وقال :نفديك بآبائنا وأمهاتنا،فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد خير،فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخير ،وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (إن من امنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن إخوة الإسلام ومودته ،لايبقينّ باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر) هذا كلام النووي [6]

[6] تاريخ الخلفاء ، الحافظ جلال الدين السيوطي ، ص38

وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال : قلت يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك؟ قال : عائشة ، قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ؛ وقد ورد هذا الحديث بدون " ثم عمر " في رواية أنس وابن عمرو وابن عباس .[7]

*** أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " منْ انفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ن فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان " فقال أبو بكر ، ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟؟ قال : " نعم، فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر".[8]

*** واخرج الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :((إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام)).[9]

---

[7] تاريخ الخلفاء ، السيوطي ص 43

[8] المصدر السابق ص49

[9] المصدر السابق ص49

*** وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال : كنت جالسا عند النبي عليه الصلاة والسلام إذ أقبل أبو بكر فسلّم ، وقال : إنه كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي ، فأبى عليّ ، فأقبلتُ إليك ، فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثا ، ثم أن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فلم يجده ، فأتى النبي عليه الصلاة والسلام ، فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم منه ، مرتين ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : " إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر: صدقت ووساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ، مرتين ، فما أوذي بعدها .[10]

***واخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر:أنا، قال: فمن تبع منكم جنازة؟ قال أبو بكر:أنا، قال :فمن اطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر:أنا ،قال فمن عاد اليوم منكم مريضا؟ قال أبو بكر:أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة".[11]

[10] المصدر السابق 50

[11] المصدر السابق 50-51

هناك أحاديث كثيرة غير ما ذكرت تذكر أبا بكر ومن خلالها نستطيع أن نتعمق في هذه الشخصية الفذة ، العظيمة ، التي أحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل هذا الحب العظيم لأن يغضب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتمعر وجهه الكريم ، وذلك أن عمر لم يغفر زلة أو خطأ وقع بها أبو بكر الصديق ، ونسمعه يقول لعمر مرتين : " فهل أنتم تاركون لي صاحبي " ، لست بصدد دراسة حياة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني أثنين إذ هما في الغار ، ولكن هي مقتطفات صغيرة ، سريعة ، نطل بها على حياة هذا الصحابي الجليل (رضي الله عنه) ، وإن يبقى ، فهناك الكثير من الكلام عن هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه ، وهناك الكتب الكثيرة التي تناولت حياة هذا الصحابي بالتفصيل ، وبحثت في أدق الأمور ، إلا أنه كان لا بد من المرور بشيء ولو كان يسيرا عن حياة الصديق رضي الله عنه .

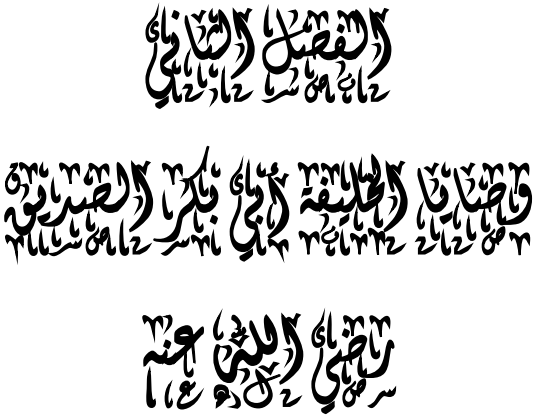
الفصل الثاني
فضائل الخليفة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه

وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه
***وصية أبي بكر لما حضرته الوفاة .**
***ولما احتضر قال لعمر بن الخطاب ...**
***أبو بكر الصديق يوصي أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين سيّره إلى أبنى.**
***أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد رضي الله عنهما لما جهزه لقتال أهل الردة .**
*** أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد رضي الله عنهما حين وجهه لقتال أهل الردة .**
*** أبو بكر الصديق يوصي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما حين أمرّه على حرب العراق .**
*** وصايا أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .**
***أبو بكر الصديق يوصي خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهما لما خرج من المدينة غازيا .**
***خالد بن سعيد بن العاص يوصي أبا بكر الصديق رضي الله عنهما .**
*** أبو بكر الصديق يوصي شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهما حين وجهه .**
*** أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد رضي الله عنهما وقد وجهه لبعض غزواته .**
***أبو بكر الصديق يوصي أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما.**
أبو بكر الصديق يوصي أبا عبيدة قيس بن المكشوح رضي الله عنهما ، لما وجهه إلى الشام .

- **أبو بكر الصديق يوصي يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما لما وجهه إلى الشام .**

***أبو بكر الصديق يوصي عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد أمد به جيش أبي عبيدة .**

- **أبو بكر الصديق يوصي عمرو بن العاص والوليد بن عتبة رضي الله عنهما .**
- **أبو بكر الصديق يوصي هاشم بن عتبة وقد أرسله إلى الشام مددا لأبي عبيدة بن الجراح .**

* وصية أبي بكر رضي الله عنه لرافع الطائي في أمر الإمارة

* وصية أبي بكر الصديق لشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم

أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة ، دعا عثمان بن عفان رضوان الله عليه وقال : أكتب :

وصية أبي بكر عتيق بن أبي قحافة رضي الله عنه: هذا ما عهد أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا، في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويبقى فيها الفاجر: إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}.[12]

---

[12] سورة الشعراء الآية 227

ولما احتضر قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا عمر، إن لله تعالى حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإن الله عز وجل لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضة. فكن مؤمناً راغباً راهباً، ولا ترغبن رغبة تمنى على الله فيها ما ليس لك، ولا ترهبن رهبة تلقي بها يديك إلى التهلكة. ثم قال: إن أول ما أحذرك نفسك وهؤلاء الرهط من المهاجرين والأنصار فإنهم قد انتفخت أوداجهم، وطمحت أبصارهم، وتمنى كل امرئ منهم لنفسه، وإن لهم نحيره ينحرونها من زلة منه ومنهم، فلا تكوننها، فإنهم لم يزالوا منك فرقين ما فرقت من الله عز وجل، في ما بين ذلك. [13]

[13])التذكرة الحمدونية، ابن حمدون ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ، عالم بالأدب والأخبار ، من أهل بغداد صنف(التذكرة)في الأدب والتاريخ وتعرف بتذكرة ابن حمدون ،اختّص ابن حمدون بالمستنجد العباسي ونادمه ،فولاه ديوان الزمام ولقّبه كافي الكفاة ثم وقف المستنجد على حكايات لابن حمدون رواها في التذكرة فغضب منه وحبسه ولم يزل محبوسا إلى أن توفي ودفن بمقابر قريش

أبو بكر الصديق يوصي أسامه بن زيد[14]

قال أبو بكر الصديق يوصي أسامه بن زيد حين سيره إلى أبنى[15]:

يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فحفظوها عنّي،لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة،ولا تقعروا نخلا[16] ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا أسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا

---

[14] أسامة بن زيد بن زيد بن حارثة ، صحابي جليل ، كنيته أبو محمد ، ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام ، لأن أباه كان أول الناس إسلاما ، وكان رسول الله يحبه حبا جما ، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، فكان مظفرا موفقا ، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه ، ثم أنتقل إلى دمشق في أيام معاوية ، فسكن في المزه ، وعاد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية .

[15] * أبنى : موضع بالشام من جهة البلقاء(معجم البلدان ، ياقوت الحموي)

[16] لا تقعروا نخلا: أي لا تقتلعوه

حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله. [17]

أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد[18]

قال أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد، لما جهزه لقتال أهل الردة:

يا خالد، عليك بتقوى الله، والرفق بمن معك من رعيتك، فإن أصحاب رسول الله، أهل السابقة من المهاجرين والأنصار، فشاورهم فيما نزل بك، ثم لا تخالفهم، وقدّم أمامك الطلائع ترتد إليك المنازل، وسر في أصحابك على تعبيةٍ جيدةٍ، فإذا لقيت أسدا وغطفان، فبعضهم لك، وبعضهم عليك، وبعضهم لا لك ولا عليك، متربص دائرة السوء، ينظر لمن تكون الدائرة، فيميل مع من تكون الغلبة، ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة، فأستعن بالله على قتالهم، فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم، فإن كفاك الله الضاحية فأمض إلى أهل اليمامة، سر على بركة الله. [19]

---

[17] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ص51

[18] هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، كان من أشراف قريش في الجاهلية ، أسلم قبيل فتح مكة ، فولاه الرسول صلى الله عليه وسلم الخيل . ولما ولي أبو بكر وجّهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد ، ثم سيّره إلى العراق سنة 12هـ ، ففتح الحيرة وجانبا عظيما منه .

[19] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ،ص52

أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد حين وجهه لقتال أهل الردة :

سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة ، فإن لا آمن عليك من الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالإدلاء ، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فإن في العرب غِرة ، وأقل من الكلام ، فإنما لك ما دعي عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سرائرهم ، واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .[20]

أبو بكر الصديق يوصي سعد بن أبي وقاص[21]

قال أبو بكر الصديق يوصي سعد بن أبي وقاص حين أمّره على حرب العراق:

يا سعدُ سعدَ بني وهيب، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب رسول الله فإن الله عز وجل لا يمحوا السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ

[20] جمهرة وصايا العرب ، محمد الدليمي ، ص 152

[21] هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف ، الصحابي الأمير ، فاتح العراق ، ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ويقال له فارس الإسلام.

بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضعيهم في ذات الله سواء، الله ربهم، وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فأنظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا فألزمه، فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين.[22]

وصايا أبي بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار، وحقا في النهار لا يقبله بالليل ،وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا،ألم تر يا عمر أنما خفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل وخفّته عليهم ، وحقّ لميزان لا يوضع فيه غدا إلا باطل أن يكون خفيفا ،ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له،ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه ، أولم تر يا عمر أنما ذكر الله

---

[22] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ص53

أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت :إني لأرجو أن أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه يجاوز لهم ما كان من سيء فإذا ذكرتهم قلت :أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر الموت، ولست بمعجزه.[23]

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك في اليوم الذي قبض فيه:
يا عمر،صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت أثرته إيانا على أهله ،ووالله إن كنّا لنرسل إليهم من فضلة ما يأتينا منه ،وصحبتني ورأيتني ،فوا لله ما نمت فحلمت ،ولا توهمت فشبّه لي، وإني لعلى بصيرة من رأي .
يا عمر ، إن أول ما أحذّرك به نفسك ،فإن لكل نفس شهوة فإذا أجبتها ،ليها دعتها إلى ما هو أعظم منها ،وأحذّرك هؤلاء الرّهط من المهاجرين ، فإني قد رأيتهم قد طمحت أبصارهم ، ونفخت أجوافهم ، وتمنى كل امرئ لنفسه، فاحملهم على الطريق الواضح يكفوك أنفسهم.
واعلم أنهم لن يزالوا لك هيابين ما هبت الله عزّ وجل ، فرقين منك ما فرقت منه. هذه وصيتي إياك ، وأقرأ عليك السلام.[24]

---

[23]) المعمرون والوصايا ص 148 ، جمهرة وصايا العرب ، محمد الديلمي -148-149

[24] المصدر السابق ص 148-149

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي خالد بن سعيد بن العاص[25] لما خرج من المدينة غازيا:

إنك قد أوصيتني برشدي وقد وعيته ،وأنا موصيك فاستمع وصيتي وعها ،إنك امروء قد جعل الله لك سابقة في الإسلام ، وفضيلة عظيمة، والناس ناظرون اليك ، ومستمعون منك، وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر ،وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه لحسبة ونية صادقة إن شاء الله، فثبّت العالم، وعلّم الجاهل، وعاتب السفيه المترف، وانصح لعامّة المسلمين، واخصص الوالي على الجند من نصيحتك و مشورتك ما يحق لله وللمسلمين عليك، واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واعلم أنا عمّا قليل ميّتون، ثمّ مساءلون ومحاسبون، جعلنا

[25] خالد بن سعيد بن العاص ، أسلم مبكرا ، بل من الخمسة الأوائل المبكرين إلى الإسلام ، وحين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالهجرة الثانية إلى الحبشة ، كان خالد بن سعيد ، ممن شدوا رحالهم إليها ، حضر فتح مكة ثم وقعة تبوك ، خرج مجاهدا فشهد فتح أجنادين قرب الرملة في فلسطين سنة 13هـ ، استشهد في معركة " مرج الصُّفر" بأرض الشام ، حيث كانت المعارك تدور بين المسلمين والروم .(رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ص
395

الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ،ولنقمه من الخائفين، ثمّ أخذ يده فودّعه.[26]

خالد بن سعيد بن العاص يوصي أبا بكر رضي الله عنهما

(الناظر في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يرى أنه قد بدأ وصيته بقوله : إنك قد أوصيتني برشدي وقد وعيته .....) فقد ورد في مقدمة الوصية أن خالد بن سعيد بن العاص أراد أن يغدو سائرا إلى الشام ، فلبس سلاحه ، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، وهم عمرو والحكم وإبان ، وغلمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد صلاة الغداة،وصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا أبا بكر ، إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طُرّا بهذا الدين ، فأحق من أقام
السنة ، وأمات البدعة ، وعدل في السيرة ، الوالي على الرعية ، وكل أمرىءٍ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالي أعم نفعا ، فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعن الضعيف المظلوم ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب ما قدرت على ذلك ، فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على

[26] جمهرة وصايا العرب ، محمد الدليمي ص166

المسلم يجعلك له عدوا ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالي الرعية ، وعادت الرعية الوالي ، كان ذلك قمنا أن يكون إلى هلاكهم داعيا ، وكن لينا للمحسن ، واشدد على المريب ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .[27]

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي شرحبيل بن حسنة[28] حين وجّهه:

يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان ؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك بمثلها ،وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد: أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل، وبعيادة المرضى، وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيرا على كل حال .

وأوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد[29]، وقد وجهه لبعض غزواته، فقال له: أكثر من الزاد واستظهر بالإدلاء، وإذا جاءتك رسل أعدائك

[27] جمهرة وصايا العرب ، دراسة وتحقيق محمد الدليمي ص348-349

[28] شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف الكندي ، صحابي ، من القادة ، يعرف بشرحبيل بن حسنة وهي أمه ، أسلم بمكة ، وهاجر غلى الحبشة ، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوفده رسولا إلى مصر ،وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرحبيل بمصر ، ثم جعله أبو بكر أحد الأمراء الذين وجههم لفتح الشام ، فافتتح الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية ، فإن أهلها صالحوه ، وذلك بأمر من أبي عبيدة ، توفي بطاعون عمواس .

[29] مرت ترجمته فيما قبل

فامنع الناس من محادثتهم حتى يخرجوا جاهلين.
أقلل الكلام فإنما لك ما وعي عنك.
وكن بعيداً من الحملة فإني لا امن عليك من الجولة. ولا تقاتلن على جزع فإنه فات بعضدك.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة بن الجراح[30] لما وجهه :

إستمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أُمر به ، إنك تخرج في أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية ، كانوا يقاتلون إذاك عن الحمية ، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة ، أحسن صحبة من صحبك ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ، واستعن بالله ، وكفى بالله معينا ، وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا ، أخرج من غدا إن شاء الله [31].

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة بن الجراح لما خرج يمشي معه في رجال من المسلمين حتى بلغ ثنية الوداع فقال له :

---

[30] أبو عبيدة عامر بن الجراح بن هلال الفهري القرشي ، الأمير القائد ، فاتح الديار الشامية ، والصحابي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان لقبه أمين الأمة ، ولد بمكة ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، وشهد المشاهد كلها ، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد ، فتم له فتح الديار الشامية ، توفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان .

[31] جمهرة خطب العرب ، دراسة وتحقيق محمد الدليمي ص153

يا أبا عبيدة ، اعمل صالحا ، وعش مجاهدا ، وتوف شهيدا ، يعطك الله كتابك بيمينك ، ولتقر عينك في دنياك وآخرتك ، فوا لله ، إني لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيرا وساقه إليك ، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره .[32]

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي أبا عبيدة قيس بن مكشوح[33] لما وجهه إلى الشام :

إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف ، فارس من فرسان العرب ، لا أظن له عظيم حسبة ، ولا كثير نية في الجهاد ، وليس بالمسلمين غنىً عن مشورته ، ورأيه وبأسه في الحرب ، فأدنه ، وألطفه ، وأره أنك غير مستغن ولا مستهين بأمره ، فإن تستخرج منه بذلك نصيحته لك ، وجهده ووجهه على عدوك .

أبو بكر الصديق يوصي يزيد بن أبي سفيان[34] لما ووجهه إلى الشام :

---

[32] المصدر السابق ص154

[33] قيس بن مكشوح : قيس بن هبيرة الملقب بالمكشوح ، صحابي ، من الشجعان الأبطال الشعراء ، كان سيد بجيلة في الجاهلية وفارسها ، كنيته أبو شداد ، له مواقف في الفتوحات في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ، في القادسية وغيرها سار على مقدمة بن أبي وقاص ، وشهد قتال نهاوند ، وحضر معارك صفين مع علي ، فقتل في أحداها

[34]) يزيد بن أبي سفيان(صخر بن حرب)الأموي، أبو خالد، أمير ، صحابي، من رجالات بني أمية شجاعة وحزما، أسلم يوم فتح مكة، وأستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله، ثم أستعمله أبو

إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله ، فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك ، وأن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد ، فإياك وعصبية الجاهلية[35] ، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها .
وإذا قدمت على جندك ؛ فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز؛ فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها ولتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوّك فأكرمهم ،وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينّهم فيروا خللك، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتوتى من قبل نفسك.
واسمر في الليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار وأكثر حرسك، وبدّدهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسك بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط،

بكر رضي الله عنه على جيش وسيره إلى الشام، وخرج معه يشيعه راجلا، ولما استخلف عمر ولاه فلسطين، ثم ولى دمشق وخراجها، وافتتح فيسارية وهو أخو معاوية بن أبي سفيان له وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية. توفي في دمشق بالطاعون وهو على الولاية.

[35] إياك وعصبية الجاهلية، ما كان عليه الجاهليون من الحمية في الباطل والحق. والتعصب لها

وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربهما من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجّنّ، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسد، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم ،ولا تجالس العابثين ، وجالس أهل الصّدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرّب الفقر،ويدفع النصر،وستجدون أقواما أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له.

أبو بكر الصديق رضي عنه يوصي عمرو بن العاص[36]وقد أمدّ به جيش أبي عبيدة:

يا عمرو، إنك ذو رأي وتجربة بالأمور ، وتبصرة بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك، ورجال من صلحاء المسلمين، وأنت قادم على إخوانك، فلا تألهم نصيحة، ولا تدّخر عنهم صالح مشورة، فربّ رأي لك محمود في الحرب، مبارك في عواقب الأمور.[37]

أبو بكر الصديق يوصي عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما وجهه إلى الشام :

[36] عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أبو عبد الله ، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم ، وأولي الحزم والرأي والمكيدة فيهم ،أسلم في هدنة الحديبية، وولاه النبي صلى الله عليه وسلم إمرة جيش ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر، ثم استعمله على عمان، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها، وعزله عثمان، وولاه معاوية على مصر سنة 38هـ وتوفي بالقاهرة

[37] جمهرة وصايا العرب ، ص 163

يا عمرو اتق الله في سر أمرك وعلانيته ، واستحيه ، فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غناءً عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والدا لمن معك ، ولا تكشفنّ الناس عن أستارهم ، واكتف بعلانيتهم ، وكن مجدا في أمرك ، واصدق اللقاء إذا لاقيت ، ولا تجبن ، وتقدم في العلوم ، وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز ، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك .[38]

أبو بكر الصديق يوصي عمرو بن العاص والوليد بن عقبة[39] رضي الله عنهم ، وقد أوصي كل واحد منهما بهذه الوصية :

إتق الله في السر والعلانية ، فإنه (من يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب)[40]، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجرا ، فإن تقوى الله خير ما تواصي به عباد الله ، إنك في سبيل الله ،لا يسعك فيه

الإدهان[41] والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تنِ[42] ولا تفتر .[43]

---

[38]) المصدر السابق ، ص161

[39] الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، أبو وهب الأموي القرشي ، والٍ، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم ، فيه ظرف ومجون ولهو ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم فتح مكة ، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق ، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب ، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها وأقام إلى سنة 29هـ ثم عزله عثمان عنها بوشاية شرب الخمر وحده وحبسه واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية ، ورثى عثمان بن عفان ، ومات بالرقة

[40] الآية 2 / سورة الطلاق

[41] المداهنة : الغش والاحتيال

[42] فلا تنِ : فلا تتأخر عن قصد ولا تكسل عنه

أبو بكر الصديق يوصي هاشم بن عتبة [44] وقد أرسله إلى الشام مددا لأبي عبيدة ابن الجراح :

يا هاشم ، إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته ، وحسن تدبيره ، وكنا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته ، و'ن الله عز وجل قد جمع لك الخصال كلها وأنت حديث السن مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم انك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ، ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله لك به عملا صالحا ، إن الله لا يضيع اجر المحسنين.

---

[43] جمهرة وصايا العرب ، ص162

[44] هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، صحابي ، خطيب من الفرسان ، يلقب بالمرقال ، وهو ان أخي سعد بن أبي وقاص ، أسلم يوم فتح مكة ، ونزل الشام بعد فتحها ، فأرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ستة عشر رجلا من جند الشام مددا لسعد بن أبي وقاص في العراق ، وشهد القادسية مع سعد ، وأصيبت عينه يوم اليرموك ، وفتح جلولاء ، وكان مع علي رضي الله عنه في حروبه ، وتولى قيادة الرجالة في صفين ، وقتل في آخر أيامها .

وصية أبي بكر رضي الله عنه لرافع الطائي في أمر الإمارة :

أخرج ابن المبارك في الزهد عن رافع الطائي قال: صحبتُ أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ، فلما قفلنا قلتُ : يا أبا بكر أوصني قال: أقم الصلاة المكتوبة لوقتها ، وأدِ زكاة مالك طيبة بها نفسك ، وصم رمضان، واحجج البيت ، واعلم أن الهجرة في الإسلام حسن ، وأن الجهاد في الهجرة حسن، ولا تكن أميرا . ثم قال: هذه الإمارة التي ترى اليوم سبرة قد أوشكت أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها بأهل ، وإنه من يكن أميرا فإنه من أطول الناس حسابا ، وأغلظه عذابا ، ومن لا يكون أميرا فإنه من أيسر الناس حسابا وأهونه عذابا ، لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين ومن يظلم المؤمنين فإنما يخفر الله [45] ، هم جيران الله وهم عباده ، والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره أو بعير جاره فيبيت ورام العضل يقول : شاة جاري أو بعير جاري ، فإن الله أحق أن يغضب لجاره . [46]

---

[45] يخفر الله : ينقض عهد الله تعالى .

[46] حياة الصحابة : ج2، ص57

وصية أبي بكر الصديق لشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم :

لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى شرحبيل بن حسنة (رضي الله عنهم) وكان أحد الأمراء فقال:

انظر خالد بن سعيد ،فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج واليا عليك وقد عرفت مكانه من الإسلام ،وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو له وال ،وقد كنت وليته ثم رأيت عزله وعسى أن يكون ذلك خيرا له في دينه ،ما اغبط أحدا بالإمارة ،قد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك وعلى ابن عمه[47]، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به بابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وليك ثالثا خالد بن سعيد فإنك واجد عندهم نصحا وخيرا ،وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي[48]عنهم بعض الخبر.[49]

---

[47] ابن عمه : المراد يزيد بن أبي سفيان

[48] تطوي: تخفي

[49] حياة الصحابة : ج2، ص117.

.
.

الباب الرابع

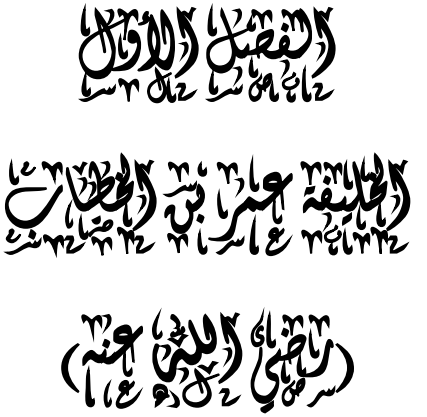

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص ، ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من لُقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل ، صاحب الفتوحات ، يُضرب بعدله المثل ، هو أحد العمرين اللذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، قال ابن مسعود : ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر . وقال عكرمة : لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر ،وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .

" كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم ، وله السفارة فيهم ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم _ أو بينهم وبين غيرهم _ بعثوه سفيرا : أي رسولا ، وإذا نافر هم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا "[50] وكانت له تجارة بين الشام والحجاز ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر سنة 13هـ بعهد منه . وفي أيامه تم فتح الشام والعراق ، وافتتحت القدس والمدائن ، ومصر والجزيرة ، حتى قيل : انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام ، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري ، واتخذ بيت مال للمسلمين ، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا ، وأول من دوّن الدواوين في الإسلام ، نقش خاتمه " كفى بالموت واعظا يا عمر " لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق وكناه بابي حفص .

---

[50] تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ص102

قتله أبو لؤلؤ فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة ،ضربه بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح ، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال .

موافقات عمر رضي الله عنه :

أخرج ابن عساكر عن علي قال: إن في القرآن لرأيا من رأي عمر .

وأخرج الشيخان عن عمر قال : وافقت ربي في ثلاث ؛ قلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "[51]وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي عليه الصلاة والسلام في الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، فنزلت كذلك .[52]

[51] البقرة ،الآية 125

[52] المصدر السابق ص114

وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث ، في الحجاب ، وفي أسارى بدر ، وفي مقام إبراهيم ، ففي هذا الحديث خصلة رابعة .[53]

وهناك الكثير ، ولكن لا مجال لذكرها .

كتاب عمر إلى النيل :

لما فُتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم، فقالوا:

يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنّة لا يجري إلا بها ، قال : وما ذاك ؟؟

قالوا إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو :

غن هذا لا يكون أبدا في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجري قليلا و لا كثيرا ن حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب له أن قد أصبت بالذي قلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة داخل كتابه ن وكتب إلى عمرو :

إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها ، فإذا فيها :

من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ‘لى نيل مصر ، أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله

---

[53] تاريخ الخلفاء ، السيوطي، ص114

تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السنّة عن أهل مصر إلى اليوم .[54]

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أحاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام : " بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ ، إلى جانب قصر ، قلت لمن هذا القصر ؟؟ قالوا لعمر ، فذكرت غيرتك ، فوليت مدبرا ، فبكى عمر ، وقال: أعليك أغار يا رسول الله ؟؟

أخرج الشيخان عن ابن عمر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال:
"بينا أنا نائم شربت_ يعني اللبن_ حتى أنظر الريّ يجري في أظفاري ، ثم ناولته عمر ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟؟ قال : العلم ".[55]

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول " بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص ؛ فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟؟؟

قال : الدين "[56]

---

[54] المصدر السابق ، ص118

[55] تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ص108

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : " يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك . [57]وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام :
" لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر " _ أي ملهمون .[58]
وأخرج الشيخان عن ابن عمر ، وأبي هريرة رضي الله عنهما ، قالا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : " بينا أنا نائم ، رأيتني على قليب عليها دلو ، فنزعت منها إلى ما شاء الله ، ثم أخذها أبو بكر ، فنزع ذنوبا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر (بن الخطاب) فاستقى ، فاستحالت في يده غربا ، فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه ، حتى روي الناس ، وضربوا بعطن " [59]
قال النووي في تهذيبه : قال العلماء : هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر ، وكثرة الفتوح ، وظهور الإسلام في زمن عمر .

[56] المصدر السابق ، ص109
[57] المصدر السابق ، 109
[58] المصدر السابق ، ص109
[59] المصدر السابق ،ص111

الفصل الثاني

وصايا الخليفة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

*** لما طُعن قيل له استخلف فأبى أن يسمي رجلا بعينه وقال ....**

*** وقال لأبي طلحة الأنصاري ....**

*** * سعيد بن عامر يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .....**

*** عمر بن الخطاب يوصي سعد بن أبي وقاص لما وجهه لقتال الفرس.....**
*** وصية عمر (رضي الله عنه) لابنه عبد الله التي ضمنها رسالة بعث بها إليه وهي...**

*** عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص حين أمره على حرب العراق .....**

*** عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أبا عبيد بن مسعود الثقفي لما وجهه لقتال الفرس ...**

*** وصية عمر بن الخطاب للعلاء الحضرمي رضي الله عنهما....**

*** وصية عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان (رضي الله عنهما) لما وجهه إلى البصرة ....**
*** وصية عمر بن الخطاب لأبي عبيدة رضي الله عنهما ....**
*** رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري....**

*** عمر بن الخطاب يوصي أبا موسى الأشعري وقد وجّه إليه كتابا بعد أن بلغه شيء عن أهل البصرة .....**

*** وصية عمر بن الخطاب للخليفة من بعده .....**

*** عمر بن الخطاب يوصي ابنه عبد الله عند الموت.....**

*** لما طُعن قيل له استخلف فأبى أن يسمى رجلا بعينه وقال :**

عليكم بهؤلاء الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عيه وسلم وهو عنهم راضٍ . علي وعثمان ابني عبد مناف ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، خالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزبير بن العوام حواريه وابن عمه ، وطلحة الخير ، فلتختاروا رجلا منهم ويتشاوروا لثلاثة أيام ، وليصلّ بالناس صُهيب ، ولا يأتي اليوم الثالث إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مُشيرا ولا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم ، فان قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم .

وقال لأبي طلحة الأنصاري :

إن الله اعزّ الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار ، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا . قال : إن اجتمع خمسة ورضوا واحدا منهم وأبى واحدٌ ،

فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا واحدا منهم وأبى اثنان فاضرب رءوسهما ، وان رضي ثلاثة منهم رجلا وثلاثة منهم رجلا فحكموا عبد الله بن عمر ، فبأي الفريقين حكم فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .[60]

* سعيد بن عامر[61] يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

إني موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعاليه :قال : أجل ، فإن الله عز وجل قد جعل عندك أدبا . قال : اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله.ولا يخالف قولك فعلك ، فإن خير القول ما صدقه الفعل ، ولا تقض في أمر واحد بقضاؤين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق ، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، وأقم وجهك . وتضاءل لمن استرعاك الله عز وجل أمره من قريب المسلمين وبعيدهم . وخذ بأمر ذي الحجة تأخذ بالفلج ويعينك الله ويصلح رعيتك على يديك ، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته ، ولا تخف في الله لومة

---

1) [60] التذكرة الحمدونية، ابن حمدون.
2) [61] سعيد بن عامر ، أسلم قبيل فتح خيبر، ولاه عمر بن الخطاب حمص ، وتوفي في العام العشرين من الهجرة .(رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد)

لائم . قال: ومن يستطيع ذلك يا سعيد ؟؟؟قال: من ركب في عنقه مثل ما ركبت في عنقك [62]

عمر بن الخطاب يوصي سعد بن أبي وقاص لما وجهه لقتال الفرس:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوصي سعد بن أبي وقاص، لما وجهه لقتال الفرس:

إني قد وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه، لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به، وأعلم أن لكل عادة عتادا، فعتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو أنابك، يجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين، في طاعته، واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء، منها السر، ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، فلا تزهد في التحبب، فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك. [63]

وصية عمر (رضي الله عنه) لابنه عبد الله التي ضمنها رسالة بعث بها إليه وهي:

أما بعد فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن اقرضه جزاه، فاجعل التقوى عماد

---

[62] التذكرة الحمدونية، ابن حمدون
[63] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف

القلب، وجلاء بصرك،فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له.[64] **عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص[65] حين أمره على حرب العراق :**

يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسوت الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل ل يمحوا السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضعيهم في ذات الله سواء ، الله ربهم ، وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظتي إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين[66] **عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أبا عبيد بن مسعود الثقفي [67] لما وجهه لقتال الفرس :**

---

[64] أمالي القالي ج2/ ص55

[65] مرت ترجمته

[66] جمهرة وصايا العرب ، الدليمي ، ص174

[67] أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، قائد من الشجعان ، أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على الجيش الزاحف إلى العراق لقتال الفرس ، وهو أول جيش سيّره عمر رض الله عنه ، قتل في وقعة الجسر ، وهو والد المختار الثقفي.

إنك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ، ولا تفشين سرك ، فإن صاحب السر _ ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعةٍ.[68]

وصية عمر بن الخطاب للعلاء الحضرمي[69] رضي الله عنهما :

سر إلى عقبة بن غزوان فقد وليتك عمله ، اعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين قد سبقت لهم من الله الحسنى ، لم أعزله ألا يكون عفيفا صليبا [70]شديد البأس ، ولكنني ظننت أنك أغنى عن المسلمين [71] في تلك الناحية منه ، فاعرف له حقه ، وقد وليت قبلك رجلا فمات قبل أن

[68] المصدر السابق ، ص177

[69] هو العلاء بن الحضرمي ، واسم الحضرمي والد العلاء هو عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف الحضرمي ، سكن أبوه مكة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان بن حرب ، كان للعلاء عدة أخوة : منهم ميمون الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة ، يقال لها بئر ميمون ، وكان حفرها في الجاهلية ، ومنهم عمرو الحضرمي ، وهو أول قتيل من المشركين ، وماله أول مال خُمّس في الإسلام ، وقد قتله المسلمون في غزوة (نخلة) . ومنهم عامر بن الحضرمي الذي قتل يوم بدر كافرا . وأختهم : الصعبة بنت الحضرمي كانت تحت أبي سفيان بن حرب فطلقها ن فخلف عليها عبيد الله بن عثمان التميمي فولدت له طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة . أسلم العلاء قبل فتح مكة ، فشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ويوم حنين .(قادة فتح بلاد فارس ، محمود شيت خطاب ، ص249)

[70] صليبا : أي صلبا
[71] أغنى عن المسلمين : أكثرهم نفعا لهم

يصل ، فإن يرد الله تعالى أن تلي وليت ، وإن يرد أن يلي عتبة ، فالخلق والأمر لله رب العالمين ، واعلم أن أمر الله محفوظ يحفظه الذي أنزله فانظر الذي خلقت له ، فاكدح له ودع ما سواه فإن الدنيا أمد والآخرة أبد ، فلا يشغلنك شيء مدبر خيره عن شيء باق شره واهرب إلى الله من سخطه . فإن الله يجمع لمن يشاء الفضيلة في حكمه وعلمه . نسأل الله لنا ولك العون على طاعته والنجاة من عذابه [72] .

وصية عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان [73] (رضى الله عنهما) لما وجهه إلى البصرة :

يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند[74] ، وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء الحضرمي[75] أن يمدك بهرثمة بن عرفجة[76] ، وهو ذو مجاهدةٍ ، ومكايدة

---

[72] حياة الصحابة ، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، ج2 ص122-123 ، تاريخ الوصايا ، فرج محمود أبو ليلى ص67

[73] عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني ، أبو عبد الله ، باني مدينة البصرة ، صحابي ، قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدرا ، ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص ووجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة واليا عليها ، وكانت تسُمى الأُبلة ، أي أرض الهند ، فاختطها عتبة ومصرها .قدم المدينة لأمر خاطب به أمير المؤمنين عمر ، ثم عاد فمات في الطريق .

[74] كانت البصرة تسمى أرض الهند أو الأبلة .

[75] العلاء الحضرمي : مرت ترجمته

[76] هرثمة بن عرفجة بن عبد العزى بن زهير بن ثعلبة البارقي ، من الأزد ، قائد من رجال الفتوح في صدر الإسلام ، من أهل البحرين ، وجهه أميرها

للعدو ، فإذا قدم عليك فاستشره وأدع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، وإلا فالسيف.

واتق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبرٍ مما يفسد عليك إخوتك ، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعززت به بعد الذلة ، وقويت به بعد الضعف ، حتى صرت أميرا مسلطا ، وملكا مطاعا ، تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيا لها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتُبطرك على من دونك .
واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسي من ذلك .
إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين.
انطلق أنت ومن معك، حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا.[77]

العلاء بن الحضرمي غازيا في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ففتح جزيرة مما يلي أرض فارس ، ثم كتب عمر إلى العلاء بأن يمد به عتبة بن غزوان حين غزا الأبلة ، فشارك في فتحها .

[77] جمهرة وصايا العرب ، = حياة الصحابة ، محمد الكاندهلوي، ج 2 ص122

وصية عمر بن الخطاب لأبي عبيدة رضي الله عنهما :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح[78] ومن معه من المهاجرين والأنصار سلام عليكم ...فإني أحمد الله الذي لا أله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . أما بعد :

إن نصر الله خير لكم من معونتنا واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وإنما يهزم بما أنزله الله من النصر ، وإن الله عز وجل مع المؤمنين وربما ينصر الله تعالى العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة ، يا طوبى للشهداء ، فالق العدو بمن معك من المسلمين ، ولا تيأس بمن صرع من المسلمين فقد رأيت من صرع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم في مواطن كثيرة حتى قتلوا في سبيل الله ولم يهابوا لقاء الموت في جنب الله تعالى بل جاهدوا في الله حق جهاده ، وما كان قولهم إلا أن قالوا " ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين " [79] فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وإن الله يحب المحسنين فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على المسلمين وأمرهم أن يقاتلوا العدو في سبيل الله عز وجل واقرأ عليهم (يا أيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)[80] والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

---

[78] مرت ترجمته

[79] آل عمران 147

[80]) آل عمران 200

رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري[81]:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك[82] ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، والبينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرّم حلالا ، أو أحل حراما .

ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ، فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .

الفهم عندما يتلجلج[83]في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ، ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، إعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى .

---

[81]) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، من بني الأشعر ، من قحطان ، صحابي ، من الشجعان الفاتحين ، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد حرب صفين ، ولد في زبيد اليمن، وقدم عند ظهور الإسلام ، فأسلم وهاجر إلى الحبشة ، ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه البصرة سنة 17 هـ ، فافتتح أصبهان والأهواز ، نوفي بالكوفة ، وكان أحسن الصحابة صوتا في تلاوة القرآن .

[82] الحيف : الظلم

[83] يتلجلج : يتردد

واجعل للمدعي حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه ، فإن أحضر بينة أخذت له بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعمى ، وأبلغ في العذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة ، فإن الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالشبهات . ثم إياك والقلق والضجر ، والتأذي بالناس ، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ، ويحسن بها الذخر فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله خلافه منه ، هتك ستره ، وأبدى فعله . والسلام عليك. [84]

عمر بن الخطاب يوصي أبا موسى الأشعري وقد وجّه إليه كتابا بعد أن بلغه شيء عن أهل البصرة :

أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمّيّاء مجهولة [85] ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهارٍ ، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثرً نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فإن الدنيا تنفدُ ، والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجلٍ ، وأخف الفسّاق ، واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا .

---

[84] البيان والتبيين، الجاحظ ، ج2 ص23-24 ، تاريخ الوصايا ، فرج أبو ليلى ، ص83-84، جمهرة الوصايا ، الدليمي ، الوصية المرقمة 51

[85]) العُمّيّاء: الكبر والضلال .

وإذا كانت بين القبائل نائرة[86] وتداعوا : يا آل فلان ، فإنما تلك نجوى الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا[87] إلى الله ، وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإمام .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة[88] تدعو : يا ضبة ، وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ، ولا منع بها سوء قط ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا ، وألصق بغيلان بن خرشة من بينهم .

وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمرهم بنفسك ، أنت امروء منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هِمة إلا السمن ، وإنما حتفها في السمن .

واعلم أن للعامل مردا إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

---

[86] نائرة : عداوة

[87] يفيئوا : يرجعوا

[88] ضبة: أسم قبيلة من قبائل البصرة

وصية عمر بن الخطاب للخليفة من بعده[89]

أوصى عمر رضي الله عنه الخليفة من بعده فقال :
"أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالهاجرين الأولين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيرا فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيرا فإنهم درء العدو ، وجبات الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيرا أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله في الناس وتخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير في عاقبة أمرك ، حتى تقضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك . وآمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من خرم الله . وأجعل الناس عندك سواء لا تبالي على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم . وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من

---

[89] البيان والتبيين ،ج2 ص22-23 ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

ذلك ما قد وسعه الله عليك وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيمانا ورضوانا ، وإن غلبك الهوى اقترفت به سخط الله .

وأوصيك أن لا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة . وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة . واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسي وولدي فإن عملت بالذي وعظتك وانتهيت إلى الذي أمرتك أخذت به نصيبا وافرا وحظا وافيا ، وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك يكن ذلك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس وهو داع إلى كل هلكة وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فأوردهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات وكن واعظا لنفسك .

أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم ز ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم .

ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم ، هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام .

عمر بن الخطاب يوصي ابنه عبد الله[90] عند الموت: [91]

عليك بخصال الإيمان . قال : وما هنّ يا أبه ؟ قال : الصوم في شدة أيام الصيف ، وقتال الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة ،وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي ، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم ، وترك ردغة الخبال ، قال : قال وما ردغة الخبال ، قال : شرب الخمر . وقال : إذا قبضت فغمضني ، واقتصد في الكفن ، ولا تخرجن امرأة ، ولا تزكوني بما ليس فيّ ، فإن الله تعالى هو أعلم بي ، وأسرعوا بي في المشي ، فإنه إن كان لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي ، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شرا تحملونه .

وصية عمر بن الخطاب لأبي عبيدة رضي الله عنهما :

[90] عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، نشأ في الإسلام ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها ، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة ، ولما قُتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى ، غزا افريقية مرتين ، الأولى مع ابن أبي سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج سنة 34هـ ، وكف بصره في آخر حياته ، وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة . قال أبو سلمه بن عبد الرحمن : مات ابن عمر ،وهو مثل عمر في الفضل ، وكان عمر في زمان له فيه نظراء ، وعاش ابن عمر في زمان ليس فيه نظراء .(الإصابة)

[91] جمهرة وصايا العرب ، الدليمي

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة يوليه على جند خالد رضي الله عنهم :

أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند ابن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده [92] لهم وتعلم كيف مأتاه [93]، ولا تبعث سرية إلا في كثف [94]من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فغمض بصرك [95] عن الدنيا واله قلبك ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم[96] .

.
.

[92] تستريده : تبعث رائدا يرود المكان ويتعرف عليه .
[93] مأتاه : تعرف كيف تدخل إليه
[94] الكثف: الجماعة من الناس
[95] فغمض بصرك عن الدنيا : لا تجعل الدنيا همك .

[96] حياة الصحابة : ج2،ص120

الباب الخامس

الفصل الأول

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان بن عفّان(رضي الله عنه)

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، القرشي، ولد في السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديما ، وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة .

تزوج رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر ، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب بسهمه وآجره ؛ فهو معدود من البدرين بذلك .

زوجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أختها أم كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ، قال العلماء : ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ، ولذلك سمي بذي النورين ، فهو من السابقين الأولين ، وأول المهاجرين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، بل قال ابن عباد : لم يجمع القرآن من الخلفاء إلا هو ، والمأمون .

أمه :أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها : أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، توأمة أبي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأم عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم .

بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال ، وولي الخلافة اثنتي عشرة سنة ، وفي سنة خمس وثلاثين كان مقتل عثمان .

أخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال : دخلت على عثمان

ـ وهو محصور ـ فقال: لقد اختبأت عند ربي عشرا ، إني لرابع أربعة في الإسلام ن (وجهزت جيش العسرة) ، وانكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ن ثم توفيت فانكحني ابنته الأخرى ، وما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا وضعت يمني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك ، ولا زنيت في جاهلة أو إسلام قط ، ولا سرقت في جاهلية أو إسلام قط ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل عثمان:

قال الزهري : ولي عثمان الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا ، وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب ، لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ، ثم توانى في أمرهم ، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر ، وكتب لمروان بخمس إفريقية ، وأعطى أقرباءه وأهل بيته المال ، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، وقال : إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما ، وإني أخذته فقسمته في أقربائي ، فانكر الناس عليه ذلك ، أخرجه ابن سعد .

عثمان بن عفان رضي الله عنه في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم :

*** أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان ، وقال : " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟

*** وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم ، فقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من جهّز جيش العسرة فله الجنة ؟ فجهزتهم، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها ، فصدقوه بما قال .

*** وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال : شهدت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحث على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : يا رسول الله علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه بشيء .

الفصل الثاني

وصايا الخليفة عثمان بن عفان

(رضي الله عنه)

وصايا عثمان بن عفّان (رضي الله عنه)

- أوصى عثمان بن عفّان (رضي الله عنه) الرعية فقال: [97]

إنكم في دار قلعة ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانهم الذين أثروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ؟ الم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله تعالى ضرب لهم مثلا قال تعالى **((واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الريح وكان الله على كل شيء مقتدرا (45) المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا))**[98]

كتاب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى عماله[99]

[97] التاريخ الإسلامي : ج1، ص257، د. حسن إبراهيم

[98] سورة الكهف الآيتان 45-46.

[99] الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة : ص528.

أول كتاب كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد في الفروج .

أما بعد ... وإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وان صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة . فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وان اعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم ، فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم . ثم العدو الذي تنتابون ، واستفتحوا عليهم بالوفاء .

.

الباب السادس

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، أبو تراب ، كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه فاطمة بنت أسد بنت هاشم ،وقد أسلمت وهاجرت رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، وأول الناس إسلاما بعد خديجة رضي الله عنها ، ولد بمكة ، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفارقه ، وكان اللواء في يده في أكثر المشاهد ، ولما هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يلحقه بأهله ، ففعل ذلك ، ولما آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له : أنت أخي ، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35هـ ، وحدثت في فترة خلافته اضطرابات واقتتال بسب مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في وقعتي الجمل وصفين ، قتل غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله في مؤامرة 17 رمضان المشهورة . كان نقش خاتمه : الله الملك .

الفصل الثاني

وصايا الخليفة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

وصيته إلى ابنه محمد بن الحنيفة : وله وصية كتبها إلى ابنه محمد بن الحنيفه :أن تفقه في الدين وعوّد نفسك الصبر على المكروه ؛وكل نفسك في أمورك كلها إلى الله؛فانك تكلها إلى كافٍ حريز ومانع عزيز .أخلص المسالة لربك فان في يد العطاء والحرمان ؛وأكثر الاستخارة لله والاستنجاد به.وأعلم أن من كان مطيته الليل والنهار يسار به وأن كان لا يسير ؛أن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمار الآخرة ؛فان تزهد فيها زهدك كله فلعل ذلك يقيك.وان كنت غير قابل نصيحتي إياك فاعلم أنك تبلغ أملك ولن تعدو أجلك ؛ فانك في ديوان من كان قلبك؛فأكرم نفسك عن كل دنيا ؛وإياك إن ساقتك إلى رغب فإنك لن تعتاض بما ابتذلت من نفسك .وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول :متى ما أؤخره يذهب ؛فمن هذا أهلك من هلك قبلك؛أمسك عليك لسانك؛فان تلافيك ما فرط من صمتك أيسر من أدراك ما فات من نطقك .وأحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء ؛فحسن التدبير مع الاقتصاد أكفى لك من الكثير مع الغناء؛والعفة مع الحرفة خير من السرور مع الفجور.والمرء أحفظ لسره. ورب ساع في ما يكره .وإياك والاتكال على الأماني فإنها بضائع النوكى وتثبيت عن الآخرة والأولى.ومن خير حظ قرين صالح ؛فقارن أهل الخير تكن منهم؛وباين أهل الشر تبن منهم ؛ ولا يغلب عليك سوء الظن فانه لا يدع بينك وبين خليل صلحا.أذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب؛أعلم أن كفر النعمة لؤم ؛ وصحبة الأحمق شؤم ؛ومن الكرم منع الحرم.ومن حلم ساد ؛ومن تفهم أزداد.أمحض أخاك النصيحة ؛حسنة كانت أو قبيحة ؛ولا تصرمه على ارتياب؛ولا تقطعه دون أستعتاب .وليس جزاء من يسرك أن تسوءه.

الرزق رزقان:رزق تطلبه ورزق يطلبك وإن لم تأته أتاك .واعلم يا بني أن ما لك من دنياك إلا ما أصلحت به مثواك ؛فانفق من خيرك ؛ولا تكن خازنا لغيرك.وأن جزعت على ما تفلت من يدك ؛فا جزع على ما لم يصل إليك .وربما أخطأ البصير قصده ؛وأبصر الأعمى رشده.لم يهلك امرؤ اقتصد؛ولم يفتقر من زهد.من ائتمن الزمان خانه ؛ومن تعظم عليه أهانه.ورأس الدين اليقين وتمام الإخلاص أجتنب المعاصي .وخير المقال ما يصدقه الفعال .سل عن الرفيق قبل الطريق ؛وعن الجار قبل الدار.واحمل لصديقك عليك؛ وأقبل من أعتذر إليك .وأخر الشر ما استطعت فانك إذا شئت تعجلته .ولا تكون على قطيعته أقوى منك على صلته؛ وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان .

لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ؛فان المرأة ريحانة ؛وليس بقهرمانة؛فان ذلك أصلح لحالها .وأغضض بصرها بسترك؛وأكففها بحجابك .وأكرم الذين بهم تصول؛فإذا تطاولت بهم تطول .

أسأل الله أن يلهمك الرشد ؛ويقويك على العمل بكل جميل ؛ويصرف عنك كل محذور برحمته؛ والسلام عليكم .[100]

[100] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

علي بن أبي طالب يوصي معقل بن قيس الرياحي[101]

قال الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، يوصي معقل بن قيس الرياحي، حين أرسله إلى الشام في ثلاث آلاف مقاتل:

اتق الله الذي لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك من دونه، ولا تقاتلن إلا من قاتلك، وسر البرديين، وغور بالناس، ورفه بالسير، ولا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكنا، وقدره مقاما لا ظعنا، فأرح فيه بدنك، وروّح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر، أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تباعد عنهم من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم.[102]

علي بن أبي طالب يوصي عسكره

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يوصي عسكره قبيل معركة صفين:

لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا

---

[101] معقل بن قيس الرياحي ، قائد من الشجعان الأجواد ، من أمراء الصفوف يوم الجمل ، وولي شرطة علي بن أبي طالب

[102] أروع ما قيل من الوصايا، أميل ناصيف، ص55

كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده.[103]

وصية علي بن أبي طالب إلى قيس بن سعد حين ولاه مصر:

قال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، يوصي قيس بن سعد[104] ، حين ولاه مصر .

سر إلى مصر فقد وليتكها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله

فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وأرفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن .

[103] أروع ما قيل من الوصايا، أميل ناصيف، ص56

[104] قيس بن سعد ، هو قيس بن سعد بن عبادة ، وال صحابي ، من دهاة العرب ، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب ، كان شريف قومه ، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ويلي أموره ، صحب عليا في خلافته ، فاستعمله على مصر .

وصية علي رضي الله عنه عند مصرعه إلى أولاده :

يا بني إني موصيكم بتقوى الله وطاعته وأن لا تبغوا هذه الدنيا وإن بغتكم على شيء زوي عنكم وقولوا الحق ولو على أنفسكم وارحموا اليتيم واطعموا المسكين واشبعوا الجائع واكنفوا الضائع وكونوا للظالم خصما وللمظلوم أعوانا ولا تأخذكم في الله لومة لائم .

ثم التفت إلى ابنه محمد ابن الحنيفة فقال : يا بني أفهمت ما أوصيت به إخوتك وغيرهما ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين فقال علي رضي الله : فإني موصيك بمثل ذلك وأوصيك أيضا بتوقير إخوتك الحسن والحسين وأن لا تقطع أمرا دونهما ثم اقبل عليهما فقال : يا حسن ويا حسين إني قد أوصيت أخاكما بكما وأوصيكما به ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحباه بحب أبيكما له وعليكم بتقوى الله عز وجل ولا تموتن إلا وأنتم [105]

[105] أروع ما قيل من الوصايا، أميل ناصيف، ص61

مسلمون واعتصما بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فإني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن صلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام لا وانظروا ذوي أرحامكم فصلوها يهون عليكم الحساب واتقوا الله في الأيتام والأرامل وأحسنوا إليهم بما استطعتم فإنها وصية النبي صلى الله عليه وسلم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به أحد غيركم ، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم ، ثم الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم ، وصيام رمضان فإن صيامه جنة لكم ، ثم الحج إلى بيت الله الحرام فهو الشريعة التي بها أمرتم وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ثم قال حفظكم الله يا أهل بيتي وحفظ فيكم سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر الله العظيم لي ولكم .[106]

وصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن :

*إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق.

*وإياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك .

*وإياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب .

[106] الوصايا الإسلامية ، سناء ناجي المصرف، ص85

*وإياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه .

*وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه .[107]

وصية علي بن طالب أبي لابنه الحسن :

يا بني إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره وإن كان كل منه كثيرا [108]

وصية علي بن أبي طالب لأولاده :

يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم . يا بني إن القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة وتتناجى بها وكذلك هي في البغض ، فإذا أحببتم الرجل من غير سبق منه إليكم فارجوه ، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه .[109]

---

[107] المصدر السابق ، ص85

[108] المصدر السابق،ص85

[109] الوصايا الإسلامية ، سناء ناجي المصرف، ص85

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي بنيه[110] بعد أن ضربه ابن ملجم:[111]

يا بنيّ إياكم أن تخوضوا في دماء المسلمين وان تقولوا: قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلنّ فيّ إلا قاتلي ،وضربة بضربة ،فإياك يا حسن والمثلة، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ولو بالكلب العقور.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي[112]:

أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا [113]،لا يرجون عليكم احد منكم[114] إلا ربه ،ولا يخافنّ إلا ذنبه ،ولا يستحيّنّ[115] احد إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول لا اعلم ،ولا يستحيّنّ أحدا[116] إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه ،وعليكم بالصبر[117] ،فان الصبر من الإيمان كالرأس من

---

[110] ورد في مقدمة هذه الوصية أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لابن ملجم :أنفذ فيك ما أمرني به أمير المؤمنين ،قال ابن ملجم: وما الذي أمرك به أبوك؟ قال: جمعنا فقال: يا بني ...الوصية.

[111] المعمرون\ 152-153 ،حياة الحيوان 1\53 ،وقد ورد فيه نص الوصية هكذا: يا بني عبد المطلب ،لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا ،تقولون :قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بي غير قاتلي اضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به.

[112] شرح نهج البلاغة 4\18، البيان والتبيين 2\72

[113] في بيان الجاحظ: لكنّ لذلك أهلا

[114] منكم لفظ ساقط من رواية البيان والتبيين

[115] في البيان: ولا يستحي

[116] ولا يستحين أحد: ليس في البيان والتبيين

[117] من قوله :وعليكم بالصبر... والى نهاية الوصية وردت في بيان الجاحظ هكذا: واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس ذهب الجسد وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي[118]:

لا تؤاخ الفاجر فانه يزيّن لك فعله ،ويحب لو انّك مثله ويزيّن لك أسوأ خصاله ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار ، ولا الأحمق فانه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرك ،فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته ، ولا الكذّاب فإنّه لا ينفعك معه عيش ينقل حديثك وينقل الحديث إليك ،حتى انّه ليحدّث بالصدق فما يصدق.

[118] عيون الأخبار 3\79 .

الباب السابع

الفصل الأول

معاوية بن أبي سفيان

معاوية بن أبي سفيان [119]

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . كان أبوه أبو سفيان أحد أشياخ مكة ، أسلم في السنة التي فتح بها الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، وكانت أمه هند بنت عتبة ، شريفة في قريش أسلمت عام الفتح . كان معاوية رضي الله عنه عاقلا في دنياه ، لبيبا عالما ، حليما ، ملكا قويا جيد السياسة ، حسن التدبير لأمور الدنيا ، حكيما ، فصيحا ، بليغا ، يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة ، إلا أن الحلم كان أغلب عليه .

ومن حلمه ما يروى أنه بعث إلى رجلٍ من الأنصار بخمسمائة دينار ، فاستقلها الأنصاري وقال لابنه : خذها وأمض إلى معاوية فاضرب بها وجهه وردها عليه ، وأقسم على ابنه أن يفعل ذلك . فجاء ابنه ومعه الدراهم فقال : يا أمير المؤمنين إن أبي فيه حدة وسرعة وقد أمرني بكيت وكيت وأقسم عليّ وما أقدر على مخالفته . فوضع معاوية يده على وجهه وقال : افعل ما أمرك أبوك وأرفق بعمك.

فاستحيا الصبي ورمى بالدراهم فضاعفها معاوية وحملها إلى الأنصاري . وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم

---

[119] الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا ،ص103

وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار كل من يعتقد أنه أولى منه بالخلافة .

كان معاوية رضي الله عنه من أدهى الدهاة . روي أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال لجلسائه : تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية !

وكان معاوية مربي دول وسائس أمم وراعي ممالك ، ابتكر في الدولة أشياء لم يسقه أحد إليها ، منها : أنه أول من وضع الحشم للملوك ورفع الحراب بين أيديهم ، ووضع المقصورة التي يصلي الملك أو الخليفة بها في الجامع منفردا من الناس وذلك لخوفه مما جرى لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، فصار يصلي منفردا وهو أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة .

ومما اخترع معاوية ، رضي الله عنه ، من أمور الملك ديوان الخاتم .

قالوا إن عبد الملك بن مروان مر بقبر معاوية ، رضي الله عنه ، فترحم عليه . فقال له رجل: قبر من هذا يا أمير المؤمنين ؟؟

قال: " قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ، ويسكت عن حلم . كان إذا أعطى أغنى ، وإذا حارب أفنى " .

الفصل الثاني

وصايا معاوية بن أبي سفيان

وصايا معاوية بن أبي سفيان

وصية معاوية بن أبي سفيان إلى عمرو بن العاص[120]:

أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يمن ، وبالمهل والتؤدة ، فإن العجلة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبل ، وأن تعفوا عمن أدبر ، فإن قبل فبها ونعمت ، وإن أبى ، فإن السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة ، وأحسن في العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، وكل الناس فأولِ حسناً .[121]

وصية معاوية لابنه يزيد [122]

(إن كفيتك الحل والترحال ، أو قال الرحل والترحال ، ووطأت لك الأشياء ، وذللت لك الأعزاء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وجمعت لك ما جمع واحد ، فانظر أهل الحجاز ، فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعهد من غاب عنكم منهم ، وانظر أهل العراق ، فإن

---

[120] هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولي الحزم والرأي والمكيدة فيهم كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام ، واسلم في هدنة الحديبية ، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم إمرة جيش ذات السلاسل ، ثم استعمله على عُمان . كان من أمراء الجيش في الجهاد بالشام في زمن عمر ، وهو الذي افتتح قنسرين ، وصالح أهل حلب ومنبج وإنطاكية ، ولاه عمر فلسطين ، ثم مصر فافتتحها

[121] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف .

[122] الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ابن طباطبا ، ص111

سألوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل ، فإن عزل عامل أحب إليك من أن يشهر عليكم مائة ألف سيف ، وأمطر أهل الشام فليكونوا بطانتك ورعيتك ، وإذا أصبت بهم عدوك فارددهم إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم .

وإني لست أخاف عليك من قريش إلا الحسين بن علي ، وعبد الله عمر ، وعبد الله بن الزبير ، رضي الله عنهم ، فأما الحسين ، فإن له رحماً وحقاً عظيما ، فإن قدرت عليه فاصفح عنه ، فإني لو أوتي به عفوت عنه ، وأما ابن عمر ، فيقيده إيمانه ، وأما ابن الزبير فخب ، ضب ، يجثم لك جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب فإن أمكنته الفرصة وثب ، فإن فعل فقدرت عليه ، أن تقطعه إرباً إربا فافعل).

.

وصية معاوية بن أبي سفيان لأبنائه عند وفاته :

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب: لما ثقل معاوية، بعث إلى يزيد وهو في ضياعه، فأتاه غلام له يقال له عجلان، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد قال في ذلك شعراً: البسيط

جاء البريد بقرطاسٍ يخبّ به
فأوجس القلب من قرطاسه جزعا
قلنا: لك الويل ماذا في صحيفتكم
قال: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا
كأنّ أغبر من أركانها انصدعا
ثمّت ملنا إلى عيسٍ مزمّمةٍ
نغشى الفجاج بها لا نأتلي سرعا
لسنا نبالي إذا بلّغن أرحلنا
ما مات منهنّ بالبيداء أو طلعا
حتّى دفعنا لرأس النّاس كلّهم
هدياً، وخيرهم فعلاً ومصطنعا
من لم تزل نفسه توفي على شرفٍ
توشك مقادير تلك النّفس أن تقعا
لمّا انتهينا وباب الدّار منصفقٌ
لصوت رملة ريع القلب فانقلعا

قال: فلما دخل على معاوية خلا به وأخرج عنه أهل بيته وقال: يا بني قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي ؟ فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك. قال يزيد: آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردة ومضى والأمة عنه راضون ؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمر الذي مصر الأمصار وجند الأجناد، وفرض الأعطية، وجبى الفيء وقاتل العدو، ومضى والأمة عنه راضون ؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذي أكل في حياته، وورث في مماته، واحتمل الوزر على ظهره ؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به واقتلهم عليه. قال: يا يزيد، انقطع منك الرجاء وأظنك

ستخالف هؤلاء جميعاً فتقتل خيار قومك وتغزو حرم ربك بأشابات الناس فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك ميتة فجاءة، فلا دنيا أصبت، ولا آخرة أدركت. يا يزيد أما إذا لم تصب الرشد فإني قد
وطأت لك الأمور، وذللت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمعه واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر: الحسين ابن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وتخلى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن. وما أظنه يقاتل عليها إلا أن تأتيه عفواً. وأما الذي يجثم جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب، فإن أمكنته الفرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إرباً إرباً إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تقبل قلوبهم إليك. وأما الحسين بن علي فإن له رحماً وحقاً وولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظنه أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه. فإني لو كنت صاحبه صفحت وعفوت

الباب الثامن

مروان بن الحكم[123]

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ماج الناس ، فأراد أهل الشام بني أمية وأراد غيرهم عبد الله بن الزبير ، ثم غلب من رأيه في بني أمية ، لكنهم اختلفوا فيمن يولونه ، فمال ناس منهم إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان فصيحا بليغا ، وقيل إنه أصاب عمل الكيمياء ، وكان صبيا ، ومال ناس إلى مروان بن الحكم لسنه وشيخوخته ، وكرهوا خالد لصبوته . ثم بايعوا مروان وقاد الجنود وفتح مصر .

وكان يقال له ابن الطريد ، وذلك لأن أباه الحكم طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة ، فلما ولي عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، رده إليه ، وأنكر المسلمون ذلك منه ، فاحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وعده برده، ورويت أحاديث وأخبار في لعنة الحكم بن أبي العاص ولعنة من في صلبه ، وضعفها قوم .

وكان مروان حين بويع قد تزوج أم خالد زوجة يزيد بن معاوية ، ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة . فدخل خالد يوما على مروان فقال له مروان : يا ابن الرطبة ! ونسبه إلى الحمق ، ليصغر أمره عند أهل الشام . فخجل خالد ودخل على أمه وأخبرها بما قال

---

[123] الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ابن طباطبا ، 119

له مروان ، فقالت : لا يعلمن أحد أنك أعلمتني وأنا أكفيك ، ثم إن مروان نام عندها ليلةً فوضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات . وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر . مات مروان بن الحكم في سنة خمس وستين للهجرة وبويع ابنه عبد الملك بن مروان .

الفصل الثاني

وصايا مروان بن الحكم

وصايا مروان بن الحكم

وصية مروان بن الحكم[124] إلى ابنه عبد العزيز[125]:

قال مروان بن الحكم يوصي ابنه عبد العزيز حين استعمله على مصر ، فقال له حين ودعه : أرسل حكيما ولا توصه .

أي بني ، أنظر إلى أعمالك ، فإن كان لهم عندك حق غدوة ، فلا تؤخره إلى عشية ، وإن كان لهم عشية ، فلا تؤخره إلى غُدوة ، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم .

وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب ، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق

واستشر جلساءك وأهل العلم ، فإن لم يستبن لك ؛ فاكتب إليّ ، يـأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالى .

---

[124] هو مروان بن الحكم بن أبي العاص ، خليفة أموي ، وأوّل من ضرب الدنانير الشامية . توفي في دمشق بعد أن حكم تسعة أشهر و18 يوما

[125] هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ولي مصر لأبيه ، فسكن حلوان ، وبنى فيها الدور والمساجد وغرس بها كرما ونخيلا، وتوفي بها .

وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك ، فلا تؤاخذه فيه عند سور الغضب ، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب ، منطفئ الجمرة ، فإن أول من جعل السجن كان حليماً ذا أناة .

ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة ، فليكونوا أصحابك وجلساءك ، ثم اعرف منازلهم منك على غير استرسال ، ولا انقباض أقول هذا واستخلف الله عليك .

الباب التاسع

الفصل الأول

عبد الملك بن مروان

عبد الملك بن مروان[126]

كان عبد الملك لبيبا عاقلا عالما ملكا جبارا ،قوي الهيبة شديد السياسة حسن التدبير للدنيا. في أيامه نقل الديوان من الفارسية إلى العربية واخترعت سياقة المستعربين ،وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم ،وكانوا يتجرّأون عليهم. وهو الذي سلّط الحجاج بن يوسف على الناس وغزا الكعبة وقتل عبد الله بن الزبير وأخاه مصعبا من قبله.

ومن طريف ما وقع في ذلك أن عبد الملك لمّا أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال أهل المدينة وغزو الكعبة امتعض عبد الملك من ذلك غاية الامتعاض وقال :ليت السماء انطبقت على الأرض .فلما صار خليفة فعل ذلك واشد منه فانّه أرسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو مكة ،وكان عبد الملك قبل الخلافة احد فقهاء المدينة وكان يسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن . فلما مات أبوه وبشّر بالخلافة أطبق المصحف وقال: هذا فراق بيني وبينك وتصدى لأمور الدنيا .وقيل إنه قال يوما لسعيد بن المسيب : يا سعيد قد صرت افعل الخير فلا أسرّ به وأصنع الشرّ فلا أساء به ،فقال له سعيد بن المسيب : الآن تكامل فيك موت القلب. في أيامه قتل عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب أمير العراق.

وكان عبد الملك أديبا ذكيا فاضلا . قال الشعبي : ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإنّي ما ذاكرته حديثا إلا زادني فيه ولا شعرا إلا زادني فيه .

---

[126] الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، ابن طباطبا ،ص122

الفصل الثاني

وصايا عبد الملك بن مروان

وصية عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة

وأوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه: أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية وجنة واقية. والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحصن كهف، وأزين حلية. ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور. فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاء، وهابتكم الأعداء. إياكم والتباغض والتحاسد فإن بهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون. انظروا يا بني، مسلمة بن عبد الملك فأصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به. وأكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القناطر. كونوا أولاداً أبراراً، وفي الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة. ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: لا ألفينك يا وليد، إذا وضعتني في حفرتي تعصر عينيك كما تفعل الأمة، بل شمر واتزر، والبس جلد نمر، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا. أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز خيراً. لا تعزلهما ولا تستبدل بهما. وأوصيك بابن عمنا هذا خيراً يعني علي بن عبد الله بن العباس. فأما الحجاج فلست تستغني عنه.

ثم أرسل إلى خالد وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: ما تقولان: أأقيلكما بيعة الوليد ؟ قالا: معاذ الله يا أمير المؤمنين. قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما. فقاما فخرجا. ثم دعا بقداح بعدة ولده فأمر بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرها. فلم

يقدر على ذلك. ثم دفعت إلى آخر، ثم آخر، حتى استقراهم جميعاً، فأعياهم كسرها، فأمر بها ففرقت، ثم دفع إلى كل واحد منهم قدحاً وأمره بكسره ففعل، فقال: هكذا أنتم بعدي، إن اجتمعتم لم يكسر أحد، وإن تفرقتم كسرتم. وقال: أحفظوا عني هذه الأبيات: الكامل

انفوا الضّغائن عنكم وعليكم
عند المغيب وفي الحضور الشّهّد
بصلاح ذات البين طول بقائكم
إن مدّ في عمري وإن لم يمدد
فلمثل ريب الدّهر ألّف بينكم
بتواصلٍ وتراحمٍ وتودّد
إنّ القداح إذا اجتمعن فرامها
بالكسر ذو حنقٍ وكسرٍ أيّد
عزّت فلم تكسر وإن هي بدّدت
فالوهن والتّكسير للمتبدّد

فلما توفي سجاه الوليد، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لم أر مثلها مصيبةً ولا مثلها نعمة. فقد الخليفة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على عظم المصيبة. والحمد لله رب العالمين، على عظيم النعمة. ثم دعا الناس إلى بيعة، فبايع الناس ولم يتخلف أحد. فسمع أحد ولد عبد الملك يبكي ويقول: مات، والله، أمير المؤمنين. فقال: ويلك لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال أخو بني أسيد أوس بن حجر: الطويل

إذا مقرمٌ منّا ذرا حدّ نابه تخمّط فينا ناب آخر مقرم

الباب العاشر

أبو جعفر المنصور[127]

كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة ، وقورا شديد الوقار ، حسن الخلق في الخلوة ، من أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث أو مزاح ، فإذا لبس ثيابه وخرج إلى المجلس العام تغير لونه واحمرت عيناه وانقلبت جميع أوصافه .

وكان المنصور يلبس الخشن من الثياب وربما رقع قميصه ، ولم يكن يُرى في دار المنصور لهو أو لعب أو ما يشبه اللعب واللهو .

مات المنصور مُحرما بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فكتم الربيع أمره لأجل البيعة للمهدي . فيقال إنه أجلسه وسنده وجعل على وجهه كلّة خفيفة يُرى وجهه منها ولا يُفهم أمره ، وأذن لوجوه بني هاشم . فلما دخلوا ووقفوا بين يديه وهم يحسبون أنه حي تقدم الربيع إليه كأنه يشاوره ، ثم عاد إليهم وقال:

أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة للمهدي . فبايع الناس طرا .

وقيل إن المهدي لما بلغه ذلك استخف بالربيع وقال: ما منعتك هيبة أمير المؤمنين من هذا الفعل به !!!

---

[127]) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ابن طباطبا ، ص159

الفصل الثاني

وصايا أبي جعفر المنصور

وصايا أبي جعفر المنصور

أبو جعفر المنصور يوصي عيسى بن موسى

قال أبو جعفر المنصور يوصي عيسى بن موسى(1)[128] لما وجهه لحرب عبد الله بن الحسن:

يا أبا موسى، إذا صرت إلى المدينة فأدع محمد بن عبد الله بن الحسن إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فإن أجابك فاقبل منه، وإن هرب منك فلا تتبعه، وإن أبى إلا الحرب فناجزه واستعن بالله عليه، فإذا ظفرت به فلا تخيفنّ أهل المدينة، وعمهم بالعفو، فإنهم الأصل والعشيرة، وذرية المهاجرين والأنصار، وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذه وصيتي إياك، لا كما أوصى بها يزيد بن معاوية مسلم بن عقبه حين وجهه إلى المدينة وأمره أن يقتل من ظهر له إلى ثنية الوداع، وأن، يبيحها ثلاثة أيام ففعل، فلما بلغ يزيد ما فعله تمثل بقول ابن الزبعري في يوم أحد حيث قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم اكتب إلى مكة بالعفو عنهم والصفح، فإنهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه، ومنبت القوم والعشيرة، وعظّم البيت والحرم، لا تلحد فيه بظلم، فإنه حرم الله

---

[128] هو عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، أمير من الولاة القادة ، وهو ابن أخي السفاح ، كان من فحول أهله أو ذوي النجدة والرأي منهم ، وله شعر جيد ، ولاه عمه الكوفة وسوادها ، وجعله ولي عهد المنصور .

الذي بعث منه نبيه محمدا(صلى الله عليه وسلم)، وشرف به آباءنا لتشريف الله إيانا، فهذه وصيتي، لا كما أوصى به الذي وجه الحجاج إلى مكة، فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة، وأن يلحد في الحرم بظلم ففعل، فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها
ونبطش حين نبطش قادرينا

الباب الحادي عشر

وصايا الحكماء

وصايا الحكماء

وقال بعض الحكماء لابنه:يا بني،اقبل وصيتي وعهدي،فإن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار كسرعة ائتلاف قطر المطر بماء الأنهار،وبعد الفجار من الائتلاف كبعد البهائم من التعاطف، وإن طال اعتلا فها على آري واحد.كن يا بني بصالح الوزراء أعني منك بكثرة عددهم فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها،والحجر فادح حمله قليل غناؤه.[129]

******

قـــال حـكيم : انتهز الفرصة فإنها خلسة ، وثب عند رأس الأمر ولا تثب عند ذنبه ، وإياك والعجز فإنه أوضع مركب ، والشفيع المهين فإنه أضعف وسيله .وقـــال آخـر: إن اتسع لك المنهج ، فاحذر أن يضيق بك المخرج .

وقال الشاعر : من الكامل :

وإذا همت بورد أمر فالتمس

من قبل مورده طريق المصدر

******

[129] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

قال المعتمر بن سليمان: كان يقال:عليك بدينك ففيه معادك وعليك بمالك ففيه معاشك وعليك بالعلم ففيه دينك .

******

ومن وصايا أرسطاطاليس للاسكندر: وإياك أن تعتمد من أصحابك على طاعة المخافة فانك تفقدها منهم أحوج ما تكون إليها ، واجتهد في إحراز طاعة المحبة تجدها في أي وقت أردت .

قال أكثم بن صيفي: يا بني تميم؛لا يفوتنكم وعظي أن فاتكم الدهر بنفسي.وان بين حيز ومي وصدري لبحرا من الكلم لا أجد له مواقع غير أسماعكم؛ولا مقار ألا قلوبكم؛فتلقوها بأسماع صاغية؛وقلوب واعية؛ تحمدوا عواقبها:إن الهوى يقظان؛والعقل راقد؛والشهوات مطلقة؛ والحزم معقول؛والنفس مهملة؛والروية مقيدة؛ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم؛ولن يعدم المشاور مرشدا؛والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل.

ومن سمع سمع به. ومصارع الألباب تحت ظلال الطمع؛ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت ألا في مقاتل الألباب تحت ظلال الطمع؛ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا في مقاتل الكرام.وعلى الاعتبار طريق الرشاد.ومن سلك ألجدد أمن ألعثار.ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويؤرص غيظه.

ولا يجاوز نفسه ضره . يا بني تميم : الصبر على جرع الحلم أعذب من جني ثمر الندم . ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم . وكلم اللسان أنكى من كلم الحسام . والكلمة مذمومة ما لم تنجم من الفم ، فإذا نجمت فهي سبع مجرب ، ونار تلتهب . ورأي الناصح اللبيب دليل لا يجوز . ونفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب .

أوصى بعضُ الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعةً، وأنْفسها قيمةً، يَرْفع الأحساب الوَضيعة، ويُفيد الرَّغائب الجليلة، ويُعِز بلا عشيرة، ويُكثر الأنصار بغَيْر رزيَّة،فالبسوه حُلّة، وتَزَينُوه حِلْية، يُؤْنسكم في الوَحشة، ويجمع لكم القُلوب المختلف.

وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال: أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابته، ولا يجد من يعيره لسانه .

قال الصولي: كاتبت أبا حنيفة رحمه الله فأغفلت التاريخ، فكتب إلي: وصل كتابك مبهم

أوصى حكيم ابنه فقال: يا بني عز المال للذهاب والزوال، وعز السلطان يوم لك ويوم عليك، وعز الحسب للخمول والدثور، وأما عز الأدب فعز راتب رابط لا يزول بزوال المال، ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك، ثم اعرف منازلهم منك عل

غيرهم بلا استرسال ولا انقباض. أقول قولي هذا واستحلف الله عليك.

وقال ابن دُريد: أَوصى بعضُ الحكماء رجلاً فقال:[130]

آمرك بمجاهدة هواك؛ فإنه يقال: إن الهوى مفتاحُ السيئات، وخصيم الحسنات، وكل أهوائك لك عدو، وأعداهما هوًى يكتُمك نفسَه، وأعدى منه هوى يمثّل لك الإثم في صورةِ التقوى، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحَزْمٍ لا يشوبه وهَن، وصِدْقٍ لا يطمع فيه تكذيبٌ، ومَضَاءٍ لاً يقاربُه التثبيط، وصبر لًا يغتاله الجزع، وهمّة لا يتقسمها التضييع.

وقاد أبو العتاهية: البسيط:

لا تأمنن الموتَ في طَرْف وفي نَفَس
ولو تَمَنَعْتَ بالحُجَّابِ والحَرَسِ
فما تزالُ سِهَامُ الموتِ نافذةً
في جَنبِ مُدَّرعٍ منّا ومُتَّرسِ
ما بالُ دينكَ تَرْضَى أن تُدَنِّسَهُ
وثوبُك الدهر مَغسولٌ من الدَّنَسِ

لقي رجل راهباً فقال: يا راهب، كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويباعد الأمنية، ويقرب المنية. قال: فما حال أهله ؟؟؟

قال: من ظفر به نصب، ومن فاته تعب.

قال: فما الغنى عنه؟

---

[130] عيون الأخبار ، ابن قتيبة

قال: قطع الرجاء منه.
قال: فأي الأصحاب أبر وأوفى؟
قال: العمل الصالح والتقى.
قال: فأيهم أضر وأبلى؟
قال: النفس والهوى.
قال: فأين منه المخرج؟
قال: في سلوك المنهج.
قال: وما ذلك؟
قال: بذل المجهود وخلع الراحة ومداومة الفكرة.
قال: أوصني.
قال:قد فعلت. [131]

[131] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

الباب الثاني عشر

وصايا الآباء للأبناء

وصايا الآباء للأبناء.

أوصى عبد الله بن حسن ابنه محمدا لما أراد أن يستتر فقال: يا بني إني مؤد إليك حق الله تعالى في تأديبك و نصحك ، فأدِ إليه حقه في الاستماع و القبول : يا بني ، كف من الأذى، وأفض الندى ،وأستعن على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها ، فإن الصمت حسن . وللمرء ساعات يضره فيها خطؤه ولا ينفعه فيها صوابه واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان ، والأناة بعد الفرصة ، يا بني احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا ، كما تحذر عداوة العاقل إذا كان لك عدوا ، فيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل . وإياك ومعاداة الرجال فإنه لا يعدمك منها مكر حليم ومباراة جاهل . .(1)[132]

*** وأوصى بعض الأنصار ابنه فقال** : يا بني إني موصيك بوصية إن لم تحفظها كنت خليقا أن لا تحفظها عن غيري . يا بني اتق الله وان استطعت أن تكون اليوم خيرا منك أمس وغدا خيرا منك اليوم فافعله . وإذا عثر عاثر من بني ادم فاحمد الله إلا تكونه و إياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس مما في أيدي الناس ، فإنك لن تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه وإياك وما يعتذر

[132] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

منه فإنه لا يعتذر من خير ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت ترى أنك لا تصلي بعدها أبدا .[133]

***

أوصى الحارث بن كعب بنيه فقال : يا بني ، قد أتت علي مائة وستون سنه ما

صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بخلة فاجر، ولا بحت لصديق بسر، ولا طرحت عندي مومس قناعا ، ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد من العرب غيري و غير تميم بن مر وأسد بن خزيمة . فموتوا على شريعتي ،

واحفظوا وصيتي ، وإلهكم فاتقوا يكفكم المهم من أمركم و يصلح لكم أعمالكم ، وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدماء وتوحش منكم الديار.[134]

أوصى أبو ألأسود ابنه فقال:يا بني؛ إذا جلست إلى قوم فلا تتكلم بما هو فوقك فيمقتوك؛ ولا بما هو دونك فيزدروك. وإذا وسع الله عليك فابسط يديك؛ وإذا امسك عليك فامسك.ولا تجاور الله تعالى فأن الله أجود منك[135]

***

[133] المصدر السابق
[134] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون
[135] أدب الدنيا والدين ، علي بن محمد البصري الماوردي

أوصى أسلم بن الخزاعي بنيه فقال : يا بني ، اتقوا ربكم في الليل إذا دجى وفي النهار إذا أضاء ، يكفيكم الله كل من يخاف ويتقي . وإياكم ومعصيته فإنه ليس لكم وراءه وزر ، ولا لكم من دونه معتصر . يا بني ، جودوا بالنوال ، وكفوا عن السؤال ، لا تمنعن سائلا محقا كان أو مبطلا ، فإن كان محقا فلا تحرموه ، وإن كان في حال علة فإنها تسد منه خلة ، وإن كان مبطلا فقد ذهب خفره وصرح الحياء عن بصره ، فأعطوه . ولا تماروا عالما أو جاهلا ، فإن العالم يحاججكم فيغلبكم ، وإن الجاهل يلجمكم فيغضبكم ، فإذا جاء الغضب كان فيه العطب .

وإياكم والفجور؛فأنه قل ما انتهك رجل حرمة ألا ابتلي في حرمته.وإياكم وشرب الخمر فأنها متلفة للمال؛طلابة لما لا ينال؛وأن كان فيها صلاح البدن فأن فيها مفسدة العقل.وإياكم والاختلاف فأنه ليس معه ائتلاف.ولا يكونن جار السوء لكم جارا.ولا خدين السوء لكم زوارا.وعليكم بصلة الرحم تكثر أموالكم؛ولا تقطعوها فتعفوا من دياركم وآثاركم. وإياكم والعجز والتواني فأنهما يورثان الندامة ويكثران الملامة.يا بني؛أنتم مثل الشجرة ثابتة الأركان ملتفة الأغصان؛فاجتمعوا ولا تفرقوا فيطمع الناس فيكم وتكونوا مثلا بكل مكان.يا بني؛قد أتت علي مائتا سنة ما شتمت ولا شتمت؛ولا قلت من لوم ماذا صنعت. خذوا بوصيتي تسلموا؛ ولا تخالفوا فتندموا.[136]

[136] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

أوصى يزيد بن الملهب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان فقال:يا بني؛أني قد استخلفتك فانظر هذا الحي من اليمن؛فكن منهم كما قال الشاعر: من الطويل:

أذا كنت مرتاد الرجال لتنفعهم
فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي

وانظر هذا الحي من ربيعة فأنهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم.وانظر هذا الحي من تميم فأمطر ولا ترهم؛ولا تدنهم فيطمعوا؛ ولا تقصهم فينقطعوا عنك.ولكن بين المطيع والمدبر.وانظر هذا الحي من قريش فأنهم أكفاء قومك في الجاهلية ومناصفوهم في ألإسلام.ورضاهم منك البشر.يا بني؛أن لأبيك صنائع فلا تفسدها فأنه كفى بالمرء من النقص أن يهدم ما بناه أبوه؛وإياك والدماء فإنه لا بقية بعدها.وإياك وشتم الأعراض فأن الحر لا يرضيه من عرضه عوض؛وإياك وضرب الأبشار فإنه عار باق ووتر مطلوب.واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى.ولا تعزل ألا عن العجز والخيانة.ولا يمنعك من اصطناع رجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه.فإنك إنما تصطنع الرجال لنفسك.ولتكن صنيعتك عند من كافيك عنه العشائر.واحمل الناس على حسن أدبك يكفوك أنفسهم. وإذا كتبت كتابا فأكثر النظر.وليكن رسولك في ما بيني وبينك من يفقه عني وعنك.فأن كاتب الرجل موضع عقله. ورسوله موضع رأيه.أستودعك الله فأنه ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيع

أن ينصرف؛وما خف من المنطق وقل من الخطبة أحب إلى أبيك[137]

أوصى عاصم بنية فقال قيس بن:يا بني؛خذوا عني فلا أحد أنصح لكم مني.إذا دفنتموني فانصرفوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم أخلفوا آباءهم؛ولا تسودوا أصغركم فإن القوم إذا سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم في أكفائهم.وإياكم ومعصية الله تعالى وقطيعة الرحم.وتمسكوا بطاعة أمرائكم:فإنهم من رفعوا ارتفع.ومن وضعوا أتضع.وعليكم بهذا المال فأصلحوه؛فإنه منبهة للكريم واستغناء عن اللئيم؛وإياكم والمسألة فإنها أخر كسب الرجل؛وإن أحدا لم يسأل ألا ترك كسبه.وإياكم والنياحة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عنها وادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم.ولا تعلم بكر بن وائل بمدفني فإني كنت أغتالهم في الجاهلية وبيننا وبينهم خماشات

فأخاف أن يدخلوها عليكم فيعيبوا عليكم دينكم.وخذوا بثلاث خصال:إياكم وكل عرق لئيم أن تلابسوه.فأنه مهما يسركم يوما فسوف يسوءكم يوما؛واكظموا الغيظ.واحذروا بني أعداء آبائكم فأنهم على منهاج آبائهم لآبائكم.وقال:من البسيط

---

1) [137] التذكرة الحمدونية، ابن حمدون .

أحيا الضغائن آبـاء لنا هلكوا فلن تبـيـد ولـلإبــاء أبـنــاء [138]

أوصى العباس بن محمد معلم ولده فقال:قد كفيتك أعراقهم فاكفني آدابهم.لا أوتين فيهم منك فإنك لم تؤت فيهم مني:أغذهم بالحكمة فإنها ربيع القلوب؛وعلمهم النسب والخبر فإنه علم الملوك.وأيدهم بكتاب الله تعالى فإنه قد خصهم ذكره.وعمهم رشده.وكفى بالمرء جهلا أن يجهل فضلا عنه أخذ.وخذهم بالإعراب فإنه مدرجة البيان.وفقههم في الحلال والحرام فإنه حارس من أن يظلموا و مانع من يُظلموا .[139]

وقال الرشيد وقد سمع أولاده يتعاطون الغريب في محاورتهم؛ويجنحون إلى الغليظ من الكلام:

لا تحملوا ألسنتكم على وحشي الكلام؛ولا تعودوها المستشنع ولا المتصنع؛فإن العادة ألزم من الطبع.واعتمدوا سهولة الكلام من غير استكراه ولا مؤونة تكلف.سيد الكلام ما ارتفع عن طبقة العامة.وانخفض عن درجة المتشدقين.وخالف سبل المغرقين.فليكن كلامكم قصدا وألفاظكم عددا.فإن الإكثار يمحق البيان؛ومن قبله تحدث الآفة على اللسان.وتحاموا الأنس بالسلطان؛وكلما رفع دونكم سترا من الحشمة

---

[138] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

1) [139] المصدر السابق.

فاحتجبوا عنه بستر من الإعظام؛وكونوا أشد ما يكون لكم بسطا أشد ما تكونون له هيبة ثم تمثل بأبيات الخطفي جد جرير: من الطويل

عجبت لإزراء العيي بنفسه

وصمت الذي قد كان بالنطق أعلما

وفي الصمت سرّ للغبي وإنما

صحيفة لب المرء أن يتكلما

ومن لا يصب قصد الكلام لسانه

وصاحبه الإكثار كان مذمما

إذا نلت إنسي المقالة فليكن

به ظهر وحشي الكلام محرما

وإن أكثر السلطان أنسك فأحترز

ولا تفغرن إلا بهيبته فما [140]

[140] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

وجمع أكثم بن صيفي بنيه فقال:

يا بني، قد أتت علي مائتا سنة، وإني مزودكم من نفسي، عليكم بالبر فإنه ينمي العدد، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه، إن قول الحق لم يدع لي صديقا، وإنه لا ينفع من الجزع التباكي، ولا مما هو واقع التوقي، وفي طلب المعالي يكون الغرر، الاقتصاد في السعي أبقى للجمال، ومن لا يأس على ما فاته ودع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه، التقدم قبل التندم، ،أن أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند ذنبه، لم يهلك من مالك ما وعظك. ويل لعالم أمر من جاهله، الوحشة ذهاب الأعلام، ويتشابه الأمر إذا أقبل، فإذا أدبر عرفه الأحمق والكيس، البطر عند الرخاء حمق، والجزع عند النازلة آفة التجمل،ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير، لا تجيبوا فيما لا تسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يضحك منه، تناءوا في الديار لا تباغضوا، فإن من يجتمع يتقعقع عمده.

ولقد رأيت جبلا مطلا تزايله حجارته، ولقد رأيته أملس ما فيه صدع، ألزموا النساء المهانة، ولنعم لهو الحرة المغزل،وأحمق الحمق الفجور، وحيلة من لا حيلة له الصبر، إن كنت نافعي فورّ عني عينك، إن تعش تر ما لم تر، قد أقر صامت، المكثار كحاطب الليل، ومن أكثر أسقط، لا تبولوا على أكمة، ولا تفشوا سرا لأمة، من لم

يرج إلا ما هو مستوجب له كان قمنا أن يدرك حاجته،لا تمنعكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه[141]

وصية والد مالك بن ضيغم لبنيه:[142]

قال مالك بن ضيغم: لما احتُضِر أبي قلنا له: ألا تُوصي قال: بلى، أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ: "يَا بَنِيَّ إنَّ الله اصطَفَى لَكُمُ الدينَ فَلاَ تَمُوتن إلا وأنتُمْ مسْلِمُونَ" وأوصيكم بصلة الرحم وحسنِ الجوار وفعل ما استطعتم من المعروف، وادفنوني مع المساكين.

وصية هَرِم بن حبان:[143]

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال: قيل لهَرِم بن حبان: أوص؛ فقال:
قد صدَقَتني نفسي في الحياة، ما لي شيء أوصِي فيه، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل.

وصية رجل لولده:[144]

وقرأت في الآيين: أن رجلاً من خدم دار المملكة أوصى ابنه فقال: إذا أكلت فضمّ شفتيك، ولا تتلفّتنّ يميناً وشمالاً.

---

[141] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام الفريح ص30

[142] عيون الأخبار ، ابن قتيبة

[143] المصدر السابق

[144] المصدر السابق

ولا تّتخذنّ خلالك قصبا. ولا تلقمنّ بسكّين أبداً، وإذا كان في يدك سكّين وأوردت التقاماً فضعها على مائدتك ثم التقم. ولا تجلس فوق من هو أسنّ منك وأرفع منزلة. ولا تتخلّل بعود آس. ولا تسمح بثياب بدنك. ولا ترق ماء وأنت قائم ولا تحفر أرضاً بأظفارك. ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتلعن، ولا تسترح على أسكفّة فتجهّل، ولا تستنج بمدر فيورثك البواسير، ولا تتمخط حيث يسمع امتخاطك، ولا تبصق في الأماكن المنظّفة.

وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي[145]

ولما احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإن تقوى الله تعقب الجنة، وإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعز الجانب. وأنهاكم عن معصية الله، فإنها تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتذر الديار بلقعاً وتذهب المال، وتطمع العدو، وتبدي العورة. يا بني، قومكم .... قومكم ! إنه ليس لكم عليهم فضل بل هم أفضل منكم إذ فضلوكم وسودوكم ووطؤوا أعقابكم، وبلغوا حاجاتكم لما أردتم، وأعانوكم، فلهم بذلك حق عليكم، وبلاء عندكم لا تؤدون شكره ولا تقومون بحقه. فإن طلبوا فاطلبوهم، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدءوهم، وإن شتموا فاحتملوهم، وإن غشوا أبوابكم

[145] لباب الأدب ، أسامة بن منقذ

فلتفتح لهم ولا تغلق دونهم. يا بني، إني أحب الرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه، وأكره للرجل منكم أن يكون للسانه الفضل على فعله.

يا بني، اتقوا الجواب وزلة اللسان، فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من زلته وينتعش منها، ويزل لسانه فيوبقه، وتكون فيه هلكته. يا بني، إذا غدا عليكم رجل أو راح فكفى بذلكم مسألةً وتذكرةً بنفسه. يا بني، ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم. يا بني، أحبوا المعروف، واكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البخل، واصطنعوا العرب وأكرموهم، فإن العربي تعده العدة فيموت دونك ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه، في احتماله لها، وشكره والوفاء لصاحبها. يا بني، سودوا كباركم واعرفوا فضل ذوي أسنانكم تعظموا به، وارحموا صغيركم وقربوه ألطفوه واجبروا يتيمكم وعودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على يدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق ونوائب الدهر. وعليكم في الحرب بالأناة، والتؤدة في اللقاء. وعليكم بالتماس الخديعة، في الحرب، لعدوكم، وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة في الحرب أنفع من الشجاعة. واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن ظفر امرؤ وقد أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه، وإن لم يظفر قال: ما ضيع ولا فرط ولكن القضاء غالب. والزموا الحزم على أي الحالتين وقع الأمر، والزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف. تواصلوا وتآزروا وتعاطفوا، فإن ذلك

يثبت المودة. وخذوا فيما أوصيكم به بالجد والقوة والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها، وبآخرتكم إذا صرتم إليها ولا قوة إلا بالله. وليكن أول ما تبدؤون به إذا أصبحتم تعليم القرآن والسنن والفرائض، وتأدبوا بآداب الصالحين من قبلكم من سلفكم، ولا تقاعدوا أهل الدعارة والريبة، ولا يطمع في ذلك منكم طامع. وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدوا حق الله عليكم، فإني قد أبلغت إليكم في وصيتي، واتخذت لله الحجة عليكم.. وتوفي بمرو الروذ وولي خراسان أربع سنين.

فقال نهار بن توسعة من الطويل:

ألا ذهب الغزو المقرّب للغنى
ومات النّدى والحزم بعد المهلّب
أقاما بمرو الرّوذ رهن ترابه
وقد غيّبا عن كلّ شرقٍ ومغرب

قال: ثم ولي بعد المهلب قتيبة بن مسلم فدخل عليه نهار بن توسعة وهو يعطي الناس، فلما رآه عرفه وقال: أنت القائل في المهلب ما قلت ؟ قال: بل أنا الذي أقول من الطويل:

وما كان مذ كنّا ولا كان قبلنا
ولا هو فينا كائن كابن مسلم
أعمّ لأهل الشّرك قتلاً بسيفه
وأقسم فينا مغنماً بعد مغنم

قال: إن شئت فأقلل، وإن شئت فأكثر، لا تصيب مني خيراً. يا غلام، حلق على اسمه فلزم بيته حتى ولي يزيد بن المهلب خراسان، فأتاه فدخل عليه وهو يقول من الطويل:

فإن يك ذنبي يا قتيبة أنّني
بكيت امرءا قد كان في الجود أوحدا
أبا كلّ مظلومٍ ومن لا أبا له
وغيث مغيباتٍ أطلن التّلدّدا
فشأنك إنّ الله إن سؤت محسنٌ
إليّ فقد أبقى يزيد ومخلدا

فقال له: احتكم، فقال: مئة ألف.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال: والذي نفسي بيده إن هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة.
قال إسحاق قال العمري: والذي صح عندنا في التوراة لا يذهب العرف بين الله والعباد.

****

** قال ابن دأب: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمة خيراً فقال: وبم أوصيه ؟ إني لأعلم أنه من بني مروان. ثم أمر بالكتاب إليه: أما بعد. فاتق، يا يزيد، الصرعة بعد الغفلة فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة. تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتقدم على من لا يعذرك والسلام.

****

ويروى أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى حشمه ولحمته يبكون، ففتح عينيه فاطلع في وجوههم ثم قال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما خلف وتركتم عليه ما اكتسب !

ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له !

أوصى ابن شداد ابنه محمداً بشعره [146]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال، قال أبو عدنان: لما حضرت عبيد الله ابن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: يا بني أرى داعي الموت لا يقلع، وبحق أن من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع. يا بني، ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية، والشكر لله، وصدق الحديث والنية، فإن للشكر مزيداً، والتقوى خير زادٍ، كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتي قريبٌ
ولكن الذي يمضي بعيد

****

وصية حجر الكندي: [147]

***قال ابن السكيت: ولما طعن الأسدي حجراً ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: أنطلق إلى ابني نافع - وكان أبر ولده - فإن بكى وجزع فاله عنه، واستقرهم واحداً ...واحداً حتى تأتي امرأ القيس - وكان

---

[146] كتاب الأغاني، للأصفهاني
[147] أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، الأعلم الشنتمري ، ص10

أصغرهم - فأيهم لم يجزع فدفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره. فأنطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه.

ثم استقراهم واحداً... واحداً فكلهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس: أضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال ما كنت أفسد عليك دستك. ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال: الخمر علي والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصي مائة[148]. وفي ذلك يقول:

أرقت ولم يأرق لما بي نافع
وهاج لي الشوق الهموم الروادع

وقال ابن الكلبي: حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي أن حجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيم معه أنفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب[149] من طيء وكلب وبكر بن وائل، فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه.

---

[148] يريد حتى أقتل منهم مائة وآسر مائة
[149] شذاذ العرب : الذين لم يكونوا في حيهم ومنازلهم

ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف. فلما أتاه بذلك قال:

تطاول الليل على دمون دمون إنا معشرٌ يمانون
وإننا لأهلها محبون

ثم قال: ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غداً. " اليوم خمرٌ، وغداً أمر " فذهبت مثلاً. ثم قال:

خليلي لا في اليوم مصحى لشاربٍ
ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعاً. فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً، ولا يدهن بدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثأره. فلما جنة الليل رأى برقاً فقال:

أرقت لبرقٍ بليلٍ أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتاني حديثٌ فكذبته بأمر تزعزع منه القلل
بقتل بني أسدٍ ربهم ألا كل شيءٍ سواه جلل[150]
فأين ربيعة عن ربها وأين تميمٌ وأين الخول[151]
ألا يحضرون لدي بابه كما يحضرون إذا ما أكل

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حنظله مقيماً لأن ظئره كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال:

يا لهف هندٍ إذ خطئن كاهلاً
القاتلين الملك الحلا حلا[152]

---

[150] الجلل: الهين

[151] الخول : جمع خولى : وهو الراعي الحسن القيام على المال

تالله لا يذهب شيخي باطلاً يا خير شيخ حسباً ونائلاً
وخيرهم - قد علموا - فواضلا
يحملننا والأسل النواهلا[153]
وحي صعبٍ والوشيج الذابلا
مستثفراتٍ بالحصى جوافلا[154]

يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل. معنى قوله مستثفرات بالحصى: يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أشفارها فكأنها استثفرت به.

الحارث بن كعب يوصي بنيه:

أوصى الحارث بن كعب بنيه فقال: يا بني، قد أتت علي مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بخلة فاجر، ولا بحت لصديق بسر، ولا طرحت عندي مومس قناعاً، ولا بقي على دين عيسى ابن مريم أحد م العرب غيري وغير تميم بن مر وأسد بن خزيمة. فموتوا على شريعتي، واحفظوا وصيتي، وإلهكم فاتقوا يكفكم المهم من أمركم ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدماء وتوحش منكم الديار.
يا بني: كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً، وإن موتاً في عز خير من حياة في ذل وعجز.

---

[152] الحلال : السيد الشريف ؛ أو الزكي الرضي .
[153] الأسل النواهلا : الرماح العطاش إلى الدماء
[154] الجوافل : المسرعات .

وكلما هو كائن... كائن. وكل جمع إلى تباب. الدهر ضربان: فضرب رخاء وضرب بلاء.
واليوم يومان: فيوم حبرة ويوم عبرة، والناس رجلان: فرجل لك ورجل عليك. زوجوا النساء من الأكفاء، وليستعملن في طيبه الماء، وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون؛ ألا إنه لا راحة لقاطع القرابة. وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم؛ وآفة العدد اختلاف الكلمة، والتفضل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها، والعمل بالسوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث الهم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد، والنصيحة تجر الفضيحة، والحقد يمنع الرفد، ولزوم الخطية يعقب البلية، وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلى التباين.
ثم أنشأ يقول: من المتقارب

أكلت شبابي فأفنيته وأنضيت بعد دهور دهورا
ثلاثة آهلين صاحبتهم فبادوا وأصبحت شيخاً كبيرا
قليل الطعام حسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا

أوصى عبد الملك بن صالح ابناً:

قال أبو الحسن: أوصى عبد الملك بن صالح ابناً له فقال: أيْ بنيَّ، احلُم فإنّ مَن حلُم ساد، ومن تفهَّم ازداد، والقَ أهلَ الخير، فإنّ لقاءَهم عِمارةٌ للقلوب، ولا تجمَحْ بك مَطِيّة اللَّجاج، ومنك مَن أعتبك، والصاحبُ مُناسِب، والصَّبر على المكروه يَعصِم القلب، المِزاحُ يورث الضغائن، وحُسن التَّدبير مع الكَفاف خيرٌ من الكثير مع الإسراف، والاقتصاد يثمِّر القليل، والإسراف يُتَبِّر الكثير، ونعِم الحظُّ القناعة، وشرُّ ما صحِب المرءُ الحسد، وما كلُّ عَورةٍ تُصاب، وربَّما أقصر العَمِي رشدَه، وأخطأ البصيرُ قصْدَه، واليأس خيرٌ من الطَّلب إلى الناس، والعِفّة مع الحِرفة خير من الغنى مع الفُجور، أرفقْ في الطَّلب وأجملْ في المكسب، فإنّه ربَّ طلَبٍ قد جرَّ إلى حَرَبٍ، ليس كلُّ طالبٍ بمُنْجِح، ولا كلُّ ملحّ بمحتاج، والمغبونُ من غُبن نصيبَه من الله، عاتِبْ مَن رجوت عُتباه، وفاكِهْ مَن أمِنت بَلواه، لا تكن مِضحاكاً من غير عَجب، ولا مشّاءً إلى غير أرب، ومَن نأى عن الحقِّ ضاق مذهبُه، ومن اقتصر على حاله كان أنعمَ لباله، لا يكبرنَّ عليك ظُلمُ مَن ظلمك، فإنّه إنَّما سعى في مَضرّته ونَفْعِك، وعوِّد نفسك السَّماح، وتخيَّرْ لها مِن كلِّ خلُقٍ أحسنَه، فإنّ الخيرَ عادة، والشّرَّ لجاجة، والصدودَ آيةُ المقت، والتعلُّلَ آية البخل، ومن الفقه كِتمان السر، ولِقاح المعرفةِ دراسةُ العلم، وطولُ التّجاربِ زيادةٌ في العقل والقناعةُ راحة

الأبدان، والشَّرف التَّقوى، والبلاغةُ معرفة رتْقِ الكلام وفتقِه، بالعقل تُستخرَج الحكمة، وبالحِلْم يُستخرج غور العَقْل، ومن شمَّر في الأمور ركب البُحور، شرُّ القول ما نقضَ بعضُه بعضاً، من سَعَى بالنَّميمة حَذِرَه البعيد، ومقَته القريب، مَن أطال النّظرَ بإرادةٍ تامّة أدرك الغاية، ومن تواني في نفسه ضاع، مَن أسرف في الأمور انتشَرت عليه، ومن اقتصَدَ اجتمعت له، واللَّجاجة تورث الضَّياعَ للأمور، غِبُّ الأدب أحمد من ابتدائه، مبادرةُ الفهم تورِث النِّسيان، سوءُ الاستماع يُعقِب العِيّ، لا تحدِّث مَن لا يقبِل بوجهه عليك، ولا تنصِتْ لمن لا ينمِي بحديثه إليك، البلادة في الرجل هجنة، قلَّ مالِكٌ إلاّ استأثر، وقلَّ عاجزٌ إلاّ تأخّر، الإحجام عن الأمور يورث العجز، والإقدام عليها يُورث اجتلابَ الحظّ، سُوء الطُّعْمَةِ يفسد
العِرْض، ويُخلِق الوجه، ويَمحَق الدِّين، الهيبةُ قرين الحرمان، والجَسَارة قرين الظّفَر، ومِنكَ مَن أنصفك، وأخوك مَن عاتبك، وشريكُك مَن وَفَى لك، وصَفِيُّك مَن آثرَك، أعدى الاعتِداء
العُقوق، إتباع الشَهوة يُورث النّدامة، وفَوتُ الفرصة يُورث الحَسرة، جميع أركان الأدب التأتِّي للرفق، أكْرِمْ نفسَك عن كلِّ دنِيَّة وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تجدَ بما تَبذُل من دينك ونفسك عوضاً، لا تساعد النساء فيملَلْنَك واستبق من نفسك بقيَّة، فإنّهن إن يَرينك ذا اقتدارٍ خيرٌ من أن يطّلِعْن منك على انكسار لا تُملِّك المرأة الشفاعةَ لغيرها، فيميلَ من شفعتْ له عليك معها.

أي بنيَّ، إني قد اخترت لك الوصيَّة، ومَحضْتك النصيحة، وأدَّيت الحقَّ إلى الله في تأديبك، فلا تُغفِلنَّ الأخذَ بأحسنها، والعملَ بها، واللهُ موفّقك.

أوصى زيد بن علي ابنه فقال: يا بني، إن الله تعالى لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرني بك؛ واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط، وخير البناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق.

****

أوصى عبد الله بن الحسن ابنه محمداً لما أراد أن يستتر فقال: يا بني إني مؤد إليك حق الله تعالى في تأديبك ونصيحتك، فأد إلي حقه في الاستماع والقبول: يا بني، كف من الأذى، وأفض الندى، واستعن على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت حسن. وللمرء ساعات يضره فيها خطؤه ولا ينفعه فيها صوابه.

واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة. يا بني، احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر عداوة العاقل إذا كان لك عدواً، فيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل. وإياك ومعاداة الرجال فإنه لا يعدمك منها مكر حليم ومباراة جاهل.

****

قال بعضهم لابنه: كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر.

****

وأوصي بعض الأنصار ابنه فقال: يا بني، إني موصيك بوصية إن لم تحفظها كنت خليقاً أن لا تحفظها عن غيري. يا بني اتق الله، وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً منك اليوم فافعل. وإذا عثر عاثر من بني آدم فاحمد الله ألا تكونه. وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، فإنك لن تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه. وإياك وما يعتذر منه فإنه لا يعتذر من خير. وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت ترى أنك لا تصلي بعدها أبداً.

****

لما حضرت سعداً الوفاة دعا ابنه فقال: يا بني: احفظ عني خصالاً خمساً: أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإنه غنى حسن. وإياك وطلب الحاجات إليهم فإنه فقر حاضر. وإياك وما يعتذر منه. وكن في اليوم الذي تستقبل خيراً منك في اليوم الذي خلفت. وإذا قمت إلى الصلاة فأحسن الوضوء ثم صل صلاة المودع فإنه يوشك أن تصلي صلاة لا تصلي بعدها.
ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: أشكو إلى الله بعد المفازة وقلة الزاد.

من وصايا قس بن ساعدة :

أوصى قس بن ساعدة ولده فذكر الله ثم قال: (أما بعد)- وهو أول من قالها- فإن المعا تكفيه البقلة وترويه المرقة، ومن عيرك شيئاً ففيه مثله، ومن ظلمك يجد من يظلمه، وإن عدلت على نفسك عدل عليك من فوقك، وإذا نهيت عن شيء فابدأ بنفسك، ولا تجمع ما لا تأكل، ولا تأكل ما لا تحتاج إليه، وإذا أخرت فلا يكونن كنزك إلا فعلك، وكن عف العيلة، مشترك الغنى، تسد قومك، ولا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً، ولا جائعاً وإن كان فهما، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً، ولا تدع في عنقك طوقاً لا يمكنك نزعه إلا بشق نفسك، وإذا خاصمت فاعدل، وإذا قلت فأقصر، ولا تستودعن سرك أحداً فإنك إن فعلت ذلك لم تزل وجلاً، وكان المستودع بالخيار إن جنى عليك كنت أول ذلك وإن وفى لك كان الممدوح دونك.

****

***<u>أوصى سعد العشيرة بنيه لما حضرته الوفاة فقال</u>:

يا بني، أتقو إلهكم بالليل والنهار، وإياكم وما يدعوا إلى ألاعتذار، ودعوا قذف المحصنات تسلم لكم الأمهات، وإياكم والبغي على قومكم تعمر لكم الساحات، ودعوا المراء والخصام تسلم لكم المروءة والأحلام. تحببوا إلى العشائر تهبكم العمائر، وجودا بالنوال تنم لكم الأموال، وإياكم ونكاح الورهاء[155]فإنها أدوا الداء، وأبعدوا من جار السوء داركم، ومن قرين الغي مزاركم، ودعوا الضغائن فأنها تدعو إلى التباين، ولا تكونوا لآبائكم ضرارا، حياكم ربكم وسدد أمركم[156]

<u>وجمع الحارث بن كعب بنيه حين حضرته الوفاة فقال</u>:

يا بني، عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطلب، ثم أصرفوه في أجمل مذهب، فصلوا به الأرحام، واصطنعوا منه الأقوام، واجعلوه جنة لأعراضكم تحسن في الناس قالتكم[157] فإن بذله تمام الشرف، وثبات المروءة، وإنه ليسوّد غير السيد، ويؤيد غير الأيد [158]حتى يكون عند الناس نبيلا نبيها، وفي أعينهم مهيبا، ومن أكتسب مالا فلم

---

[155] الورهاء : الحمقاء

[156] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام فريح ص31

[157] قالتكم : سيرتكم
[158] الأيد : السيد

يصل به رحما، ولم يعط منه سائلا، ولم يصن به عرضا بحث الناس عن أصله، فإن كان مدخولا[159] هرتوه[160] وهتكوه، وإن لم يكن مدخولا ألزموه دنية، وأكسبوه عرقا لئيما حتى يهجنوه به[161]

ودعا المنذر ابنه النعمان، وهو غلام شاب فقال[162]:

يا بني، إن لي فيك رأيا دون غيرك من ولدي، فإني آمرك بما أمرني به والدي، وأنهاك عما نهاني عنه والدي، آمرك بالذل في عرضك، وذلك أن تكون ذلولا بالمعروف، وعليك بالانخداع في مالك، وأحب إليك خلوة الليل وطول السمر، وأكره لك إخلاف الصديق، وأطراف المعرفة، وأنهاك عن ملاحاة الحلماء ومزاح السفهاء، إن لك عقلا وجمالا ولسانا، فاكتس من ثناء الناس ما يؤيد جمالك، ودع الكلام وأنت عليه قادر، وليكن لك من عقلك خبئ تدخره أبدا ليوم حاجتك.

ثم قال:

إن ظني بمن أمرت بأمـري

حسن إن أعـانت الأذنـان

---

[159] مدخولا: من في عقله دخل

[160] هرتوه : أي طعنوا فيه وذموه

[161] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام فريح ص32

[162] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام فريح ص32

بـاستماع ومـا ظفرت بشيء

إن نبـا مقـولي عن النعمان

قـد تفرست في بني وفـيـه

فـإذا الأمر ليس بـالمتـداني

فـلـئن تـم ما أؤمـل فيـه

ما لـه في بني الملـوك مـدان

ولـه الحـظ في الجمـال وفي
العقل وحـظ من مهلة ولسـان

*****

<u>وأوصى عمرو بن الغوث بن طيء ولده وهم:</u>

ثعل،ونبهان،وبنوهم،وكان عمرو قد عاش حتى كبر ولده فقال:

يا بني، إنكم قد حللتم محلا تخرجون منه ولا يدخل عليكم فيه، فارعوا مرعى الضب الأعور، يرى جحره، ويعرف قدره، ولا تكونوا كالجراد، يأكل ما وجد ويأكله ما وجده وإياكم والبغي، فإن الله إذا أراد هلاك النملة جعل لها جناحين، يا بني، لا تستحيوا من منع من لا يستحي من المسألة، وكلوا من الطعام وأطعموه، ولا يستحي أحدكم

أن يفعل شيئا ينتفع به إذا لم يعرف، فإنه إنما يستحي حينئذ لغيره، وابدءوا الناس بالشر فإنه أشكر لخيركم وإن كان قليلا، ولا تمنعكم الكثرة أن تربعوا على أقداركم، والله يحوطكم.[163]

وأوصى قيس بن معد يكرب ولده فقال:

باسمك اللهم، أحفظوا أدبي يكفكم، واتبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ويستعل أمركم، إني أكلكم إلى أدبي، وإن المعنى بكم لغائب، ألزموا ما يجمل، واقنوا حياءكم وأطيعوا ذوي رأيكم، وأجلوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدنية، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم،وتناصروا تكونوا حمى، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن محتلكم واحدة،وأهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة[164]، ودعوا المكافأة بالشر يحببكم الناس، وعفوا عن الدناءة، وأكرموا أهل الكفاءة، ولا تواكلوا الترافد والرياسة فيحل عطبكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجابا، ولا تدبروا أعجازا ما قد أدبرت صدوره، ولا تقيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، وألزموا الأناة يفز قدحكم، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم، ولا تأخذوا ختلا، وخذوا صراحا فهناك عز القرار، ومنعة الجار، واظعنوا في

---

[163] المصدر السابق ، ص34

[164] النائرة : يقال نارت نائرة أي هاجت هائجة

الأرض تبلغوا مأمنكم، ولا تعرضوا لنمائم النساء، وإياكم والغدر فإنه أحلني دار الغربة واعتبروا.[165]

من وصايا الأفوه ألأودي[166]

" عليكم بتقوى الله وصلة الرحم ، وحسن التعزي عن الدنيا بالصبر ، والنظر فيما حزبكم لما بعده تفلحوا ، وتفقدوا حالاتكم بالمعرفة لحقوق أعلامكم فإنهم بكم عزوا ، وأنتم بهم أعز منكم بغيرهم ، كونوا من الفتن على حذر ، ولا تأمنوا على أحسابكم السفهاء ، ولا تشركوهم في سركم ، فإنهم كالضأن في رعيتها ، كلامهم ذعر ، وفعلهم عسر ، لا يستحيون من دناءة ، ولا يراقبون محرماً ، ولا يغضبن منكم امرؤ لسيفه على ابن عمه وإن وزعه[167] ، ولا تطمأنوا إلى أجسامهم ، واستوحشوا من عقولهم ، ولا تثقوا بناحيتهم ، وإن حاربتم فاتخذوهم حشواً فيما بينكم فإن النظر قبل اللقاء حزم ، ولا حزم بعد الندامة فإذا اقتادكم امرؤ فوقروه بالإجلال والمناصحة تبلغوا بذلك من العدو ، وتنالوا به

---

[165] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام فريح ص35

[166] الأفوه ألأودي: الأفوه لقب ، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن سعد العشيرة وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء وفي ذلك يقول الأفوه :

أبي فارس الشوهاء عمرو بن مالك غداة الوغى إذ مال بالجد عاثر

وكان الأفوه من كبار الشعراء في الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكان العرب يصدرون عن رأيه ، ويعدونه من حكمائهم

[167] الوزع : المنع

المحامد فإن لغد أمراً ، والأيام دول ، فتأهبوا وتصنعوا لحلولها.[168]

ثم قال:أما بعد ، فإن التجربة علم والأدب عون ، والكف عن ذلك مضرة ، وليكن جلساؤكم أهل المروءة والطلب لها ، وإياكم ومجالسة الأشرار ، فإنها تعقب الضغائن ، والرفض لهم من أسباب الخير، والحلم محجزة عن الغيظ ، والفحش من العي ، والغي مهدمة للبناء ، ومن خير ما ظفرت به الرجال اللسان الحسن .

وفي ترك المراء راحة للبدن ، فلينظر كل رجل منكم إلى جهته ، فإن العجب كبر، والكبر قائد إلى البغض ، واشنأوا[169] البغي ، فإنه المرعي الوخيم ، واستصلحوا الخلل وتحاموا الذل ، اللهم عليك بأهل الحسد للنعم " [170]

****

وصية ذو الأصبع العدواني [171]لأبنه

لما احتضر ذو الأصبع العدواني دعا ابنه أسيدا ووصاه :

---

[168] المصدر السابق ، ص 26
[169] اشنأوا : ابغضوا
[170] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام فريح ص27

[171] ذو الأصبع العدواني : هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن عدوان بن عيلان بن مضر بن نزار ، وهو شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وله غارات كثيرة في العرب ، ووقائع مشهورة . وقيل إنه عمّر طويلا حتى خرف واهتر .

"يا بني ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ،وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع إلى النهضة في الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسآلة أحد ، فبذلك يتم سؤددك ، ثم أنشأ يقول :

أأسيد إن مالاً ملكـ

ـت فسر بـه سيراً جميـــلا

آخي الكرام إن استطعـ

ـت إلى إخـائهم سبيـلا

واشرب بكأسهم وإن

شربـــوا بـه السم الثميـلا

أهن اللئـام ولا تكن

لإخـائهم جمــلاً ذلـــولا

*****

وصية لقمان الحكيم إلى ابنه:

يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مُدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

وقال له : يا بني ازحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وابق فضول كسبك لأخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً[172]، وعلى عناق الرجال كلا[173]، وصم صوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم صوماً يضر بصلاتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم .

وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، ولا تحاب القريب ، ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذو الوجهين ألبته.

وقال له : لا تركن إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بها ، فإنك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للعاصيين .

يا بني ، لا تُضيّع مالك ، وتصلح مال غيرك ، فإن مالك ما قدّمت ، ومال غيرك ما تركت .

يا بني ، إنه من يرحم يُرحم ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم

---

[172] العيال : الذي يعيله غيره من فضله
[173] الكل : من يتكل على غيره ولا يعمل

يا بني ، زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .

وقال له: يا بني ، إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون ، وهم إلى الآخرة سراعا يذهبون ، وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت ، واستقبلت الآخرة ، وإن دارا تسير إليها أقرب من دار تخرج منها .

يا بني ، ليس غنى كصحةٍ ، ولا نعيم كطيب نفس ، يا بني ، لا تجالس الفجار ، ولا تماشهم ، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصبك معهم ، وجالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله تعالى يحي القلوب الميتة بالعلم ، كما يحي الأرض بوابل المطر .

وقال له : إياك وصاحب السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجب منظره ، ويقبح أثره ، ولا يهونن عليك من قبح منظره ، ورث لباسه فإن الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب ، ويجازي بالأعمال .

وقال لأبنه أو لمولاه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة إلى الرأس ، ويورث الباسور ، ويتجمع له الكبد ، فاجلس هويني ، وقم هويني .

وقال لأبنه : يا بني ، إذا قعدت لذي سلطان ، فليكن بينك وبينه مقعد رجل ، فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك ،

فيريد أن تنحى له عن مجلسك ، فيكون ذلك نقصاً عليك وشينا .[174]

وصية قس بن ساعده[175] إلى أبنه:

لا تشاور مشغولاً ، وإن كان حازماً ، ولا جائعاً وإن كان فهماً ، ولا مذعوراً

وإن كان ناصحاً ، ولا مهموماً وإن كان عاقلاً ، فالهم يعقل العقل ، فلا يتولد منه رأي ، ولا تصدق به روية .

---

[174] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ، ص 77

[175] قس بن ساعده : هو قس بن ساعده بن عمرو من بني إياد ، احد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، كان أسقف نجران ، كان يفد على قيصر الروم زائرا فيكرمه ويعظمه .

أسماء بن خارجة[176] يوصي ابنته:

قال أسماء بن خارجه الفزاري يوصي ابنته هندا عند هدائها (زواجها):

يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب، والماء، وأحسن الحسن الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك أمةً، يكن لك عبدا، واعلمي أني القائل لأمك:

خذي العفو منّي تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
ولا تنقريني نقرة الدُّف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيّبُ
فإني وجدت الحب في الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ[177]

*****

[176] هو أسماء بن خارجة بن حذيفة الفزاري ، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بالعراق ، كان سيد قومه ، جوادا مقداما عند الخلفاء .

[177] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ، ص121

عبد الله بن جعفر[178] يوصي ابنته

قال عبد الله بن جعفر يوصي ابنته عند هدائها(زواجها):
يا بنية، إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة فإنها تورث البغضة، وعليك بالزينة والطيب، واعلمي أنّ أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء.[179]

*****

الأشعث بن قيس الكندي[180] يوصي بنيه

قال الأشعث بن قيس الكندي يوصي بنيه :

يا بني ، لا تذلوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم ، ولتخف بطونكم من أموال
الناس وظهوركم من دمائهم ، فإن لكل امرئ تبعة ، وإياكم وما يعتذر منه أو يستحي ، فإنما يعتذر من ذنب ،ويستحي من عيب ، وأصلحوا المال لجفوة السلطان ، وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة، فإنه كفى بالرد منعا ، وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدرا .
وامنعوا النساء من غير الأكفاء ، فإنكم أهل بيت يتأسى بكم الكريم ، ويتشرّف بكم اللئيم ، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الحبل ، فإذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم.[181]

*****

---

[178] عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، صحابي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها . وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وأتى البصرة والكوفة والشام ، وكان كريما يسمى بحر الجود ، وللشعراء فيه مدائح ، وكان أحد الأمراء في جيش علي بن أبي طالب يوم صفين .

[179] المصدر السابق

[180] الأشعث بن قيس بن معد كرب الكندي ، أمير كندة في الجاهلية والإسلام ، وفد على النبي وأسلم ، وشهد اليرموك ، والكثير من المواقع ، وكان مع علي في صفين ، وأخباره كثيرة في الفتوحات الإسلامية

[181] المصدر السابق ص89

وصية جعفر بن محمد الصادق[182] إلى ابنه موسى[183]

قال جعفر بن موسى الصادق يوصي ابنه موسى قائلا:

يا بني ، من رضي بما قُسم له استغنى ، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

يا بني ، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتقر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء أتهم .

يا بني ، إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك ، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك .

يا بني ، كن لكتاب الله تالياً ، وللإسلام فاشياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

يا بني ، إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولاً وللأصول فروعا ، وللفروع ثمراً، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب .

يا بني ، إذا زرت فزر الأخيار ، ولا تزر الفجار ، فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضرّ ورقها ،وأرض لا يظهر عشبها [184]

******

وصية العتبي[185]إلى ابنه عبد الرحمن

---

[182] هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الحسين ، كانت له منزلة رفيعة في العلم ، أخذت عنه جماعة منها الإمامان أبو حنيفة ومالك لُقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب مطلقا . له أخبار مع العباسيين ، وكان جريئا عليهم صداعا بالحق .

[183] هو موسى بن محمد الصادق ، كان من سادات بني هاشم ، ومن أعبد أهل زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد .

[184] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ، ص90

يا بني ، إني أتركك مع من لا يتركك ، فأكحل عيونهم بحسن منك تقطع ألسنتهم عنك ، وكن لنفسك تكن لك ، وخذ من كل زمان محاسن ما فيه ، وأنت قليل فاتق الله تكن به كثيرا ، واعلم بأنك تخرج بموتي عن سعة عذر إلى ضيق مداراة ، فضع الأمور مواضعها تضعك موضعك ، واجعل دنياك صلة لآخرتك ، ولا ترض لها بها عوضاً من الآخرة ، فإن الله لم يرضها عقاباً لمن سخط عليه ، ولا ثواباً لمن رضي عنه ، وانظر بناتي ، فوصيتي فيهن بما أوصى سعيد بن العاص في بناته .[186]

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فقال له:

يا بني، أرى داعي الموت لا يقلِع، ومن مضى منَّا لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزِع، وليس أحد عليه بممتنع؛ وإني أوصيك - يا بني - بوصية فاحفظها:
عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك الشكر لله وحسن النية في السر والعلانية. واعلم بأن الشاكر مزاد، والتقوى خير زاد.
وكن - يا بني - كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ،
ولكن التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ،
وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بد أن يأتي قريبٌ
ولكن الذي يمضي بعيدُ

---

[185] هو محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن ، أديب كثير الأخبار ، حسن الشعر ، ولد وتوفي بالبصرة .
له تصانيف منها (الأخلاق) ، و(أشعار الأعاريب) .

[186] المصدر السابق ، ص92

ثم قال: يا بني، لا تزهدن في معروف؛ فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب. فكم من راغب كان مرغوباً إليه، وطالب قد أصبح مطلوباً ما لديه.

واعلم بأن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان. وكن كما قال أخو بني الدُّئِل أبو الأسود الدؤلي :

وعَدِّدْ من الرحمن فضلاً ونعمةً
عليك، إذا ما جاء للخير طالبُ
وإن امرأً لا يرتجى الخير عنده
يكن هيِّناً ثِقْلاً على من يصاحبُ
فلا تمنعنْ ذا حاجة جاء طالباً ؛
فإنك لا تدري متى أنت راغبُ
رأيتُ تصاريف الزمان بأهله
وبينهم فيه تكون النوائبُ

ثم قال: يا بني، كن جواداً بالمال في مواضع الحق، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق؛ فإن أحمد جود الحر الإنفاق في وجوه البر؛ وإن أحمد بخل الحر، الضَن بمكتوم السر، وكن – يا بني - كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري :

أجود بمضنون التلادِ وإنني
بسرِّك عمن سألني لضنينُ
إذا جاوز الاثنين سرٌ، فإنه
بنَثٍّ وتكثير الحديث قمينُ
وإن ضيَّع الإخوان سراً فإنني
كتوم لأسرار العشير أمينُ
وعندي له يوماً إذا ما ائتُمِنتهُ
مكانٌ بسوداءِ الفؤاد مكينُ

ثم قال: يا بني، وإن غلبت يوماً عن المال فلا تدع الحيلة بكل مكان؛ فإن الكريم محتال، واللئيم مغتال. وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً -: أقل ما تكون في الباطن مالاً. واعلم أن الكريم من كرمت عند الحاجة طبيعته وظهرت عند الإنفاذ نعمته وكن كما قال
الشاعر ابن حذاق العبدي :

وجدتُ أبي قد أورثه أبوهُ
خلالاً قد تعدُّ من المعالي
فأكرمُ ما تكون عليَّ نفسي
إذا ما قل في الأزمات مالي
فتحسن سيرتي، وأصون عِرْضي
ويجمُلُ عند أهل الرأي حالي

فإن نلت الغنى لم أغلُ فيه
ولم أخصُصْ بجفوتي الموالي

ثم قال: يا بني، وإن سمعت كلمةً من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن
أمضيتها حيالها، وقع العيب على من قالها. وقد كان يقال: إن الأريب العاقل هو الفطن المتغافل. وكن كما قال حاتم الطائي :

وما من شتمني شتمُ ابن عمي
وما أنا مخلفٌ من يرتجيني
وكلمةِ حاسدٍ من غير جُرْمٍ
سمعتُ، فقلتُ: مرّي فانفذيني
فعابوها عليَّ ولم تعِبْني
ولم يعْرَق لها يوماً جبيني

وذو اللونين يلقاني طليقاً
وليس إذا تغيَّب يأتليني
بصُرْتُ بعيبهِ فكفَفْتُ عنه
محافظةً على حسبي وديني

ثم قال: يا بني، لا تواخِ أخاً حتى تعاشره وتعرف أمره، وتتفقد موارده ومصادره؛ فإذا استطبت العشرة، ورضيت الخِبرة، فآخه على إقالة العثرة، والمواساة في العُسْرة.

وكن – يا بني - كما قال المقنَّع الكندي :

أُبْلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءهم
وتوسَّمَنَّ فَعَالهم وتفقَّدِ
فإذا ظفرتَ بذي الأمانة والتُّقى
فَبِهِ اليَدَيْنِ- قريرَ عَيْنٍ- فاشْدُدِ
وإذا رأيتَ - ولا محالةَ - زلَّةً
فعلى أخيك بفضلِ حِلْمِكَ فارْدُدِ

ثم قال: يا بني، وإذا أحببت حبيباً فلا تفرط، وإذا أبغضت بغيضاً فلا تشطط، فإنه قد قال أمير المؤمنين رضوان الله عليه :

" أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما. وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ".

وكن كما قال الشاعر هدبة بن الخشرم العذري :

وكنْ معقِلاً للخير، واصفحْ عن الخَنَى
فإنك راءٍ - ما حييتَ - وسامعُ
وأحبِبْ - إذا أحببت - حباً مقارباً
فإنك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض - إذا أبغضت - بغضاً مقارباً
فإنك لا تدري متى الود راجع

وعليك - يا بني - بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار فإنه عار.
وكن كما قال الدرامي :

صاحب الأخيار وارغب فيهم
رُبَّ من صاحبته مثلُ الجَرَبْ
ودَع الناس فلا تشتمهم ،
وإذا شاتمت، فاشتم ذا حسبْ
إن من شاتم وغداً كالذي
يشتري الصفرَ بأعيان الذهبْ
واصدق الناس إذا حدَّثتهم
ودع الكذب فمن شاء كذبْ
رُبَّ مهزولٍ سمينٌ عِرْضُه
وسمينِ الجسم مهزولُ الحسَبْ

ثم قال: يا بني، وإذا آخيت فآخ من يعد لنوائب الزمان.
وعليك بذوي الألباب الذي
ثقفتهم الآداب، ووثَّقتهم الأحساب، فإنهم أطيبُ مختبر، وأكرم محْتضر، وأعذب معتصر.
واحذر إخاء كلِّ جهول، وصحبة كل عجول، فإنه لا يغفر الزَّلَة، وإن عرف العلَّة، سريعٌ غضَبه، عالٍ لهبه، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، يرى ما يعطيك غُرماً، وما يأخذ منك غُنْماً؛ فهو يرضيك، ما طمع فيك؛ فإذا يئس من خيرك، مال إلى غيرك.

وفي مثله يقول الشاعر :

لا تواخ - الدهر - جِبْساً راضعاً
مُلْهَبَ الشرّ، قليل المنفعة

ما ينلْ منك فأحلى مغنمٍ
ويرى ظرفاً به أن يمنعهْ
يسألُ الناس ولا يعطيهمُ
ثكِلتْهُ أُمُّهُ، ما أطمَعَهْ!

ثم قال: يا بني، من عتب على الزمان، وتتبع عثرات الإخوان، قطعهُ صديقه، وملَّه رفيقه، واحتماه الأهلون، وظفر به الشامتون، ومن سار في البلاد ثمَّر المراد. وطالب الكفاف - بالقناعة والعفاف -: يعيش حميداً، ويموت فقيداً. وقد قال النابغة :

إذا المرء لم يطلُب معاشاً لنفسِه
شكا الفقرَ، أو لامَ الصديق فأكثرا
وصارَ على الأدنينَ كلاًّ، وأوشكتْ
صلاتُ ذوي القربى له أن تنكَّرا
فسرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى ،
تعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعذرَا

وما طالبُ الحاجاتِ في كل وجهة
من الناس، إلا من أجدَّ وشمَّرا
ولا ترْضَ من عيشٍ بدونٍ، ولا تنمْ
وكيفَ ينامُ الليلَ من باتَ مُعْسِرا ؟

ثم قال: وليكن إخوانك وأهل بطانتك أولِي الدين والعفاف، والمروءات والأخلاق الجميلة، فإني رأيت إخوانَ المرء يده التي يبطش بها، ولسانه الذي يصول به، وجناحه الذي ينهض به. فاصحب هؤلاء تجدهم إخواناً، وعلى الخير أعواناً. واجتنب الصِّغار الأخطار، اللئام الأقدار، الذين لا يحامون على حسب، ولا يرجعون إلى نسب، ولا يصبرون على نائبةٍ، ولا ينظرون في عاقبةٍ؛ فإنهم إن

رأوك في رخاءٍ سألوك، وإن رأوك في شدةٍ أسلموك؛ ولعلهم أن يكونوا عليك مع بعض الأعداء .
واعلم بأن الرجل بلا خدِين، كذي الشِّمال بلا يمين.
واخلِطْ نفسك مع الأبرار، وطهرها من الفجَّار، فالمرء يُعرف بقرينه. وقد قال الشاعر :
وقارن - إذا قارنتَ - حراً؛ فإنما
يزينُ ويُزري بالفتى قُرَناؤهُ
ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى
من الأمر ما لم يرضهُ نُصَحَاؤهُ
إذا قلَّ ما الوجه قلَّ حياؤُهُ
ولا خيرَ في وجه إذا قلَّ ماؤُهُ
ثم قال: يا بني، قد جمعت لك مصالح نفسك، فاستفتح الله بمسامع عقلك؛ وتفهَّم ما
وصفت لك بالتجارب، تحُزْ صلاح العواقب .
واعلم أن من حاسب نفسه تورَّعْ، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب

نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، وفي التواني تكون الهلكة، وفي التأني السلامة. وزارع البر يحصد السرور. والقليل مع القناعة في القصد، خير من الكثير مع السرف في المذلة.
والتقوى نجاة، والطاعة ملك؛ وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول؛ وصديق الجاهل تعب، ونديم العاقل مغتبط. فإذا جهلت فسلْ، وإذا ندمت فأقلع، وإذا غضبت فأمسك. ومن لاقاك بالبشر فقد أدى إلى الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضِهِ الفضل .

وضع - يا بني - الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعَنَّ معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكرك ويرصدك بالمكافأة، وإن اللئيم يحسب ذلك حتماً، ويؤول أمرك معه إلى المذلة. وقد قال الشاعر :

إذا أوليتَ معروفاً لئيماً
فعدَّك قد قتلتَ له قتيلا
فعُدْ - من ذاك - معتذرا إليه
وقلْ: "إني أتيتك مستقيلا
فإن تغفر فمحترم عظيمٌ
وإن عاقبت لم تظلم فتيلا "
وإن أوليت ذلك ذا وفاءٍ
فقد أودعته شكراً طويلا [187]

وصية عبد الرحمن الأوسط بن الحكم[188] إلى ولده المنذر بن عبد الرحمن

قال عبد الرحمن الأوسط يوصي ولده المنذر بن عبد الرحمن :

إن فيك لتيها مفرطاً ، فقال له: حق لفرع أنت أصله أن يعلوا ، فقال له يا بني ، إن العيون تمج التياه ، والقلوب تنفر عنه فقال: يا أبي ، لي من العز والنسب وعلو المكان ما يجمل عن ذلك ، وإني لم أر العيون إلا مقبلة عليّ ولا الأسماع إلا مصغية إليّ ، وأن لهذا السلطان رونقا يرقيه التبذل ، وعلواً يخفضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التيه ، والانقباض ، وأن هؤلاء الأنذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا ، فإن رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه

[187] لباب الأدب، اسامة بن منقذ

[188] هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ، رابع ملوك بني أمية في الأندلس، شهدت على أيامه مملكته نهضة عمرانية كبيرة . كان أديبا ينظم الشعر ، ومطلعا على علوم الشريعة وبعض فنون الفلسفة

بنقصه ، وصيروا تواضعه صغرا ، وتخفضه خسة ، فقال له أبوه: لله أنت ، فابق وما رأيت .[189]

أبجر بن جابر يوصي بنيه

قال أبجر بن جابر لبنيه:

يا بني، إن سركم طول البقاء، وحسن الثناء، والنكاية في الأعداء، فإذا استقبلتم الخميس، فاستقبلوه بوجوهكم، وإياكم أن تمنحوهم أكتافكم فتطعنوا بالرماح في أدباركم، فإن أمثل القوم بقية الصابر عند نزول الحقائق.[190]

قال زياد عند موته لابنه عبيد الله: لا تدنس عرضك،ولا تبذلن وجهك،ولا تخلفن
جدتك بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك
عيبا،وإن قضى حاجتك جعلها عليك منا.واحتمل الفقر بالتنزه عما في أيدي الناس،وألزم القناعة بما قسم لك،فإن سوء حمل الفقر يضع الشرف، ويخمل الذكر، ويوجب الحرمان[191]

****

[189] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ، ص93

[190] المصدر السابق

[191] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

وقال بعض الحكماء لابنه:يا بني،اقبل وصيتي وعهدي،فإن سرعة ائتلاف قلوب

الأبرار كسرعة ائتلاف قطر المطر بماء الأنهار،وبعد الفجار من الائتلاف كبعد البهائم من التعاطف، وإن طال اعتلا فها على آري واحد.كن يا بني بصالح الوزراء أعني منك بكثرة عددهم ، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها،والحجر فادح حمله قليل غناؤه.[192]

****

زوّج أسماء بن خارجة الفزاري[193] ابنته هند من الحجاج بن يوسف.فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء:يا بنية،إن الأمهات يؤدبن البنات،وإن أمك هلكت وأنت صغيره،فعليك بأطيب الطيب الماء،وأحسن الحسن الكحل،وإياك وكثرة المعاتبة فإنها مقطعة للود،وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق.وكوني لزوجك أمة يكن لك عبدا،واعلمي أني القائل لأمك حيث أول:طويل

خذي العفو مني تستديمي مودتي

ولا تغضبي في سورتي حين أغضب

---

[192] المصدر السابق

[193] هو أسماء بن خارجة بن حذيفة الفزاري ، تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بالعراق ، كان سيد قومه ، جوادا مقدّما عند الخلفاء (الزركلي : الأعلام 1/ 305)

ولا تنقريني نقرك مرة

فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإني وجدت الحب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وأنبأنا أبو عبد الرحمن قال: أنبأنا أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير اللخمي قال: جاء أبو جهم بن حذيفة العدوي، وهو يومئذ ابن مئة سنة، إلى مجلس لقريش، فأوسعوا له عن صدر المجلس وقائل يقول: بل كان عروة بن الزبير مكان أبي جهم فقال. يا بني أخي، أنتم خير لكبيركم من مهرة لكبيرهم. قالوا: وما شأن مهرة وكبيرهم ؟ قال: كان الرجل منهم إذا كبر وضعف أتاه ابنه أو وليه فعقله بعقال ثم قال: قم. فإن استتم قائماً وإلا حمله إلى محبس لهم يجرى على أحدهم فيه رزقه حتى يموت. قال: فجاء شاب منهم إلى أبيه ففعل ذلك، فلم يستتم قائماً، فحمله فقال: أي بني إلى أين ؟ قال: إلى سنة آبائك، فقال: أي بني لا تفعل، فو الله لقد كنت أوعدك فلا أحقك، وأماشيك فما أبذك وأسقيك الدأدأة
قال: وكانت العرب تقول: إذا سقي الغلام اللبن وهو قائم كان أسرع لشبابه فقال الفتى: لا جرم، والله، لا يذهب بك، فاتخذتها مهرة سنة.

*****

<u>وأخبر عبد الرحمن بن إسرائيل عن أشياخه قال</u>: لما حضرت الوفاة سعيد ابن العاصي قال: يا بني، أيكم يكفل

عني ديني ؟ قال عمرو بن سعيد: علي دينك يا أبه. كم هو ؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: وفيم استدنتها ؟ قال: في كريم سددت خلله، أو لئيم اشتريت عرضي منه، ثم قال سعيد: هذه خصلة وبقيت خصلتان. قال: ما هما يا أبه ؟ قال: يا بني لا تزوجن بناتي إلا من الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير. قال: أفعل. قال: يا بني، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة. قال: وما هي يا أبه ؟ قال: يا بني، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروفي. قال: أفعل يا أبه. قال: يا بني ما زلت أعرف الكرم في حماليق عينيك وأنت يحرك بك في مهدك حتى بلغت ما أرى. يا بني، ما شاتمت رجلاً مذ كنت رجلاً، ولا زاحمت ركبتاي ركبته ولا كلفت من يرتجيني أن يسألني فيبذل وجهه ويرشح جبينه رشح
السقاء، إذن، والله، فما وصلته. يا بني، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً عن غير مسألة. فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه ماطرا، لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فو الله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كافأته، ولا الذي بات يتململ على فراشه يعقب بين شفتيه أيجدني موضعاً لحاجته أم لا، لهو أعظم علي منةً مني عليه، إذا قضيتها له.

****

عامر بن الظرب العدواني يوصي ابنته

قال عامر بن الظرب العدواني[194] يوصي ابنته، وقد زوجها أبن أخيه، موجها كلامه إلى امرأته ماوية بنت عوف بن فهر:

يا هذه، مري أبنتك، فلا تنزلن فلاة إلا معها ماء، وأن تكثر استعمال المأْء، فلا طيب أطيب منه، وإن الماء جُعل للأعلى جلاء، وللأسفل نقاء، وإياك أن تميلي إلى هواك ورأيك، فإنه لا رأي للمرآة، وإياي ووصيتك، فإنه لا وصية لك.

أخبري أبنتك أن العشق حلو، وأن الكرامة المؤاتاه، فلا تستكرهنّ زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته، فإن الرضا الإتيان عنده اللذة ولا تكثر مضاجعته، فإن الجسد إذا ملّ مل القلب، ومريها فلا تمزحنّ معه بنفسه، فإن ذلك يكون منه الانقباض، ومريها فلتخبأ سوءتها منه، فإنه وأن لا بد من أن يراها، فإن كثرة النظر إليها استهانة وخفة.[195]

وصية لسان الدين بن الخطيب[196] لأولاده

---

[194] هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني ، حكيم ، خطيب، ورئيس من الجاهليين . كان إمام مضر وحكمها وفارسها ، وممن حرّم الخمر في الجاهلية ، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما . (الزر كلي : الأعلام 3/ 252)

[195] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ، ص119

[196] لسان الدين بن الخطيب:
كان مولد الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله كما في الإحاطة في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة، وقال الرئيس

وهي وصية جامعة نافعة، يحصل بها انتعاش، لاشتمالها على ما لا بد منه في المعاد والمعاش، ونصّها:

الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب، إذا شيم نجمه المثقوب، ولا يباغته الأجل المكتوب، ولا يفجأه الفراق المعتوب، ملهم الهدى الذي تطمئن به القلوب، وموضح السبيل المطلوب، وجاعل النصيحة الصريحة في قسم الوجوب، لا سيما للولي المحبوب، والولد المنسوب، القائل في الكتاب المعجز الأسلوب **"أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه " البقرة: 133 "ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب" البقرة: 132**

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرّت على نوره جيوب الغيوب، وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب، والأمل المسلوب، والاقتداء الموصل للمرغوب، والعز والأمن من اللغوب.

وبعد، فإنّي لما علاني المشيب بقمته، وقادني الكبر في رمّته، واد كرت الشباب بعد أمته، أسفت لما أضعت، وندمت بعد الفطام على ما رضعت، وتأكّد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه، وتعلّق بعيني سعيه، وأمّلت أن تتعدى إليّ ثمرة استقامته وأنا رهين فوات، وفي برزخ

الأمير الوليد ابن الأحمر رحمه الله: نشأ لسان الدين ابن الخطيب على حالة حسنة سالكاً سبيل أسلافه، فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبي عبد الله ابن عبد المولى العواد تكتباً ثم حفظاً ثم تجويداً، ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي، وقرأ عليه العربية وهو أول من انتفع به، وقرأ على الخطيب أبي القاسم ابن جزي، ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله ابن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده، وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله ابن بكر، وتأدب بالرئيس أبي الحسن ابن الجياب، وروى عن كثير من الأعيان، وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ولازمه.

أموات، ويأمن العثور في الطريق التي اقتضت عثاري، إن سلك - وعسى أن لا يكون ذلك - على آثاري، فقلت أخاطب الثلاثة الولد، وثمرات الخلد، بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم، وإيضاح طريقهم، وجمع تفريقهم، وأن يمن عليّ منهم بحسن الخلف، والتلافي من قبل التلف، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف، فهو ولي ذلك، والهادي إلى خير المسالك:

اعلموا هداكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي الضّلاّل، وبرضاه ترفع الأغلال، وبالتماس قربه يحصل الكمال، إذا ذهب المال، وأخلفت الآمال، وتبرأت من يمينها الشمال - أنّي مودعكم وإن سالمني الردى، ومفارقكم وإن طال المدى، وما عدا ممّا بدا، فكيف وأدوات السفر تجمع، ومنادي الرحيل يسمع، ولا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر، وعجالة مقتصر، ويتيمة تعقد في خنصر، ونصيحة تكون نشيد واع مبصر، تتكفّل لكم بحسن العواقب من بعدي، وتوضح لكم من الشفقة والحنّو قصدي، حسبما تضمّن وعد الله من قبل وعدي، فهي أربكم الذي لا يتغير وقفه، ولا ينالكم المكروه ما رفّ عليكم سقفه، وكأنّي بشبابكم قد شاخ، وبرحالكم قد أناخ، وبناشطكم قد كسل، واستبدل الصاب من العسل، ونصول الشيب تروع بأسل، لا بل السام من كل حدب قد نسل، والمعاد اللحد ولا تسل، فبالأمس كنتم أفراخ حجر، واليوم أبناء عسكر مجر، وغداً شيوخ مضيعة وهجر، والقبور فاغرة، والنفوس عن المألوفات صاغرة، والدنيا بأهلها ساخرة، والأولى تعقبها الآخرة، والحازم من لم يتّعظ به في أمر، وقال: بيدي لا بيد عمرو، فاقتنوها من وصية، ومرام في النصح قصية، وخصّوا بها أولادكم إذا عقلوا،

ليجدوا زادها إذا انتقلوا، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملاً، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ولا رضي الدنيا منزلاً، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلاً.

ولتلقنوا تلقيناً، وتعلموا علماً يقيناً، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي، ويفترش التراب جنبي، ويسح انسكابي، وتهرول عن المصلّى ركابي، أحرص مني على سعادة إليكم تجلب، أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب، حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف منكم ظلاً، ولا أشرف محلاً، ولا إبط نهلاً وعلاً، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي الآذان، وتستلمحوا صبح نصحي فقد بان، وسأعيد عليكم وصية لقمان: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **"وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بنيّ لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم، يا بنيّ أقم الصّلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إنّ ذلك من عزم الأمور، ولا تصعّر خدّك للنّاس، ولا تمش في الأرض مرحاً، إنّ الله لا يحبّ كلّ مختال فخور، واقصد في مشيك، واغضض من صوتك، إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير"** [197]

وأعيد وصية خليل الله وإسرائيله، حكم ما تضمنه حكم تنزيله **"يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون"** [198]

---

[197] **سورة لقمان: 13-19**

[198] سورة **البقرة: 132**

والدين الذي ارتضاه واصطفاه، وأكمله ووفّاه، وقرّره مصطفاه، من قبل أن يتوفّاه، إذا أعمل فيه انتقاد، فهو عمل واعتقاد، وكلاهما مقرر، ومستمد من عقل أو نقل محرر، والعقل متقدم، وبناؤه مع رفض أخيه متهدم، فالله واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، تنزه عن الزمان والمكان، وسبق وجوده وجود الأكوان، خالق الخلق وما يعملون، الذي لا يسأل عن شيء وهم يسألون، الحي العليم المدبّر القدير :**ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير"**[199]

أرسل الرسل رحمة لتدعو الناس إلى النجاة من الشقاء، وتوجّه الحجّة في مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء، ثمّ ختم ديوانهم بنبي ملّتنا المرعيّة الهمل، الشاهدة على الملل، فتلخصت الطاعة، وتعيّنت الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة، ثمّ إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً، وترك دينه يضم من الأمة نشراً، فمن تبعه لحق به، ومن تركه تورّط عنه في منتشبه، وكانت نجاته على قدر سببه، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدي: كتاب الله، وسنّتي، فعضوا عليهما بالنواجذ".

فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد، ومشفق شفقة والد، واستشعروا حبه الذي

---

[199]) **سورة الشورى: 11**

توفّرت دواعيه، وعوا مراشد هديه فيا فوز واعيه، وصلوا السبب بسببه، وآمنوا بكل ما جاء به مجملاً أو مفصّلاً على حسبه، وأوجبوا التجلية لصحبه الذي اختارهم الله تعالى لصحبته، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته، واشملوهم بالتوقير، وفضلوا منهم أولي الفضل الشهير، وتبرؤوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع، ولا تع التشاجر بينهم أذن واع، فهو عنوان السداد، وعلامة سلامة الاعتقاد، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملّة، وأئمتها الجلّة، فهم صقيلة نصولهم، وفروع ناشئة من أصولهم، وورثتهم وورثة رسولهم.

واعلموا أنّني قطعت في البحث زماني، وجعلت النظر شأني، منذ براني الله تعالى

وأنشأني، مع نبل يعترف به الشاني، وإدراك يسلّمه العقل الإنساني، فلم أجد خابط ورق، ولا مصيب عرق، ولا نازع خطام، ولا متكلّف فطام، ولا مقتحم بحر طام، إلاّ وغايته التي يقصدها قد نضلتها الشريعة وسبقتها، وفرعت ثنيتها وارتقتها، فعليكم بالتزام جادّتها السابلة، ومصاحبة رفقتها الكاملة، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة.

والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين **"ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين"**[200] وقد علت شرائعه، وراع الشكوك رائعة، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الآبدين، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين،

---

[200] **سورة آل عمران: 85**

ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلّغت فأنت خير الشاهدين.

فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود، وتستدعي شوه الوجوه ونضج الجلود، واستعيذوا برضى الله من سخطه، واربأوا بنفوسكم عن غمطه، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم، واقتنعوا منه بما تيسر، ولا تأسوا على ما فات وتعذر، فإنّما هي دجنة ينسخها الصباح، وصفقة يتعاقبها الخسارة والأرباح، ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها، وكفكفوا الشبه أن تدنوا إليها.

واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل، وكل ما سوى الراعي همل، وما بعد الرأس في صلاح الجسم الميت أمل، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة، وتفكروا في آياته ومعانيه، وامتثلوا أوامره ونواهيه، ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه، وأكثروا من بواعث حبه، وصونوا شعائر الله صون المحترم، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم.

الله... الله في الصلاة ذريعة التجلية، وخاصة الملّة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجر المستخدم، وأم العبادة، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة، والناهية عن الفحشاء والمنكر وإن عرض الشيطان عرضهما، ووطّأ للنفس الأمّارة سماءهما وأرضهما، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر، وضامنة حسن العشرة من الجار، وداعية للمسالمة

من الفجار، والوا سمة بسمة السلامة، والشاهدة للعبد برفع الملامة، وغسول الطبع إذا شانه طبع، والخير الذي كل ما سواه له تبع، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة، فالخير عادة، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية، وتؤثروا على العلية الدنية، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تنبس، والفلك بها من أجلكم لا يحبس، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل، والوظائف
بعد أدائها لا تفوت، وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها، وأتبعوها النوافل ما أطقتموها، فبالإتقان تفاضلت الأعمال،
وبالمراعاة استحقت الكمال، ولا شكر مع الإهمال، ولا ربح مع إضاعة رأس المال، وذلك أحرى بإقامة الفرض، وأدعى إلى مساعدة البعض... البعض.
والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل، وشرط لشروطها محصل، فاستوفوها، والأعضاء نظفوها، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها، والحجول والغرر فأطيلوها، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها، فالبناء بأساسه، والسيف برئاسه.
واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور، وذكر مجهور وغير مجهور، تستغرق الأوقات، وتنازع شتى الخواطر المفترقات، فلا يضبطها إلاّ من ضبط نفسه بعقال، وكان في درج الرجولية ذا انتقال، واشتقاض صدأه بصقال، وإن تراخى قهقر الباع، وسرقته الطباع، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع.
والزكاة أختها الحبيبة، ولدتها القريبة، مفتاح السماحة بالعرض الزائل، وشكران المسئول على الضدّ من درجة

السائل، وحق الله تعالى في مال من أغناه، لمن أجهده في المعاش وعنّاه، من غير استحقاق ملأ يده وأخلى يد أخيه، ولا علّة إلاّ القدر الذي يخفيه، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه. فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها، في اختيار عرضها
ونتاجها، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل، وخالفوا الشيطان كلّما عذل، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون، ولا تدرون أين تسلكون، فوهب وأقدر، وأورد بفضله وأصدر، ليرتب بكرمه الوسائل، أو يقيم الحجج والدلائل، فابتغوا إليه الوسيلة بماله، واغتنموا رضاه ببعض نواله.
وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفى، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام، والقيام ببر القيام، والاجتهاد، وإيثار التهجد على المهاد، وإن وسع الاعتكاف فهو من سنته المرعية، ولواحقه الشرعية، فبذلك تحسن الوجوه، وتحصل من الرقة على ما ترجوه، وتذهب قسوة الطباع، ويمتدّ في ميدان الوسائل الباع.
والحج - مع الاستطاعة - الركن الواجب، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلّم قدره فيما فرض عن ربّه وسنّه، وقال ليس له جزاء عند الله إلاّ الجنّة.
ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوّة عليه، وغنى لديه، فكونوا ممّن يسمع نفيره ويطيعه، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه.
هذه عمد الإسلام وفروضه، ونقود مهره وعروضه، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، وعلى من يناويكم

ظاهرين، وتلقوا الله لا مبدّلين ولا مغيرين، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين.
واعلموا أن بالعلم تستكمل وظائف هذه الألقاب، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب،
فعليكم بالعلم النافع، دليلاً بين يدي السامع، فالعلم مفتاح هذا الباب، والموصل إلى اللّباب، والله عزّ وجلّ يقول **"قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنّما يتذكّر أولو الألباب"** [201]

والعلم وسيلة النفوس الشريفة، إلى المطالب المنيفة، وشرطه الخشية لله تعالى
والخيفة، وخاصة الملأ الأعلى، وصفة الله في كتبه التي تتلى، والسبيل في الآخرة إلى السعادة، وفي الدنيا إلى التجلية عادة، والذخر الذي قليله ينفع، وكثيره يشفع، لا يغلبه الغاصب، ولا يسلبه العدوّ المناصب، ولا يبتزّه الدهر إذا مال، ولا يستأثر به البحر إذا هال، من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله، وقليل وإن جم ماله، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم، وتخطى حسابكم، فالتمسوه لبنيكم، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم، واحملوهم على جمعه ودرسه، واجعلوا طباعهم ثرىً لغرسه، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه، وسهر يهجر له الجفن كراه، تعقدوا لهم ولاية عزّ لا تعزل، وتحلّوهم مثابة رفعة لا يحطّ فارعها ولا يستنزل، واختاروا من العلوم التي ينفّقها الوقت، ما لا يناله في غيره المقت.

---

[201] **سورة الزمر: 9**

وخير العلوم علوم الشريعة، وما نجم بمنابتها المريعة، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها، فإنّما هي آلات لغير، وأسباب إلى خير منها وخير، فمن كان قابلاً لازدياد، وألفى فهمه ذا انقياد، فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم

المنّة، المهدي كنوز الكتاب والسنّة، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة، والتدرّب في طرق النظر وتصحيح الأدلّة، وهذه هي الغاية القصوى في الملّة، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى، وتقاعد عن التي هي أسمى، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه، وإياكم والعلوم القديمة، والفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكاً، ورأياً ركيكاً، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون، وتطريق الظنون، وتطويق الاحتقار، وسمة الصّغار، وخمول الأقدار، والخسف من بعد الإدبار،

وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال، وأوفق من قطع العمر في الجدال، هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه، وملتمس الرشد ومواليه، عادت عليه بالسخطة الشنيعة، وهو إمام الشريعة، فلا سبيل إلى اقتحامها، والتورّط في ازدحامها، ولا تخلطوا سامكم بحامها، إلا ما كان من حساب ومساحة، وما يعود بجدوى فلاحة، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة، وما سوى ذلك فمحجور، وضرم مسجور، وممقوت مهجور. وأمروا بالمعروف أمراً رفيقاً، وانهوا عن المنكر نهياً حريّاً بالاعتدال حقيقاً، واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقاً، واجتنبوا ما تنهون

عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً. وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمراً، ولا تقربوا من الفتنة جمراً، ولا تداخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً.

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين، وأهم ما أضحى عليه الآباء ألسنة البنين، وأكرم منسوب إلى مذهبه، ومن أكثر من شيء عرف به. وإياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى، والسوءة التي لا يرتاب في عارها ولا يتمارى، وأقل عقوبات الكذاب، بين يدي ما حساب ومساحة، وما يعود بجدوى فلاحة، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة، وما سوى ذلك فمحجور، وضرم مسجور، وممقوت مهجور.

وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم، وفي وجه الديانة كلوم، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها، أداء الأمانات إلى أهلها، وحافظوا على الحشمة والصّيانة، ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة، ولا توجدوا للغدر قبولاً، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولاً **"وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا"** [202] ولا تستأثروا بكنز ولا خزن، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن، ولا تبخسوا الناس أشياءهم في كل أو وزن، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة، وسبل الله تعالى غير منسدة، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه، ويغمس في الحرام بيده أو لسانه، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سنناً قويماً، وجلي من الجهل والضلال ليلاً بهيماً **"ومن يقتل مؤمناً متعمداً**

---

[202] **سورة الإسراء: 34**

فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له
عذاباً عظيماً" [203] واجتناب الزنا وما تعلّق به من أخلاق من كرمت طباعه، وامتد في سبيل السعادة باعه، لو لم تتلقّ نور الله الذي لم يهد شعاعه، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه، ولا عدم إقناعه، ومن غلبت عليه غرائز جهله، فلينظر هل يحب أن يزنى بأهله، والله قد أعدّ للزاني عذاباً وبيلاً،
وقال "ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً" [204] والخمر أم الكبائر، ومفتاح الجرائم والجرائر، واللهو لم يجعله الله في الحياة شرطا، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذي سوّغ وأعطى، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد، والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد، وقرنها بالأنصاب والأزلام في متباينة السّداد.
ولا تقربوا الربا فإنّه من مناهي الدين،
والله تعالى يقول "وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين" [205] **وقال: "فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله"** [206]
في الكتاب المبين، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه، والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه، ولا يكل اختياره إلا

---

[203] **سورة النساء: 93**
[204] **سورة النساء: 22.**
[205] **سورة البقرة: 278**
[206] **سورة البقرة: 279**

للثقة من خدمه، ولا تلجأوا إلى المتشابه إلاّ عند عدمه، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع، والمحافظ عليه مغبوط.

وإياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسان. والنميمة فساد وشتات، لا يبقى عليه متات، وفي الحديث "لا يدخل الجنّة قتّات".

واطرحوا الحسد فما ساد حسود، وإياكم والغيبة فباب الخبر معها مسدود، والبخر فما رئي البخيل وهو مودود.

وإياكم وما يعتذر منه فمواقع الخزي لا تستقال عثراتها، ومظنّات الفضائح لا تؤمن غمراتها، وتفقّدوا أنفسكم مع الساعات، وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات ورقوا على ذوي الزمانات والعاهات، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات. وعوّلوا عليه وحده في الشدائد، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار، وتعاهدوا أولي الأرحام، والوشائج البادية الالتحام، واحذروا شهادة الزور فإنّها تقطع الظهر، وتفسد السرّ والجهر؛ والرّشا فإنّها تحط الأقدار، وتستدعي المذلّة والصّغار، ولا تسامحوا في لعبة قمر، ولا تشاركوا أهل البطالة في أمر.

وصونوا المواعيد من الإخلاف، والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف، وحقوق الله تعالى من الإزراء والاعتساف، ولا تلهجوا بالآمال العجاف، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف. واجعلوا العمر بين معاش ومعاد، وخصوصية وابتعاد. واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد، وأن الخلق زرع وحصاد، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم. واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال

أن يدوم، وقابلوا بالصبر أذاية المؤذين، ولا تقارضوا مقالات الظالمين، فالله لمن بغي عليه خير الناصرين، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلّما نزلت، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت، فكل منقرض حقير، وكل منقض وإن طال قصير، وانتظروا الفرج، وانشقوا من جناب الله تعالى الأرج، وأوسعوا بالرجاء الجوانح، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى

فطوبى لعبد إليه جانح، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء، والجأوا إليه في البأساء والضّرّاء، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد، ويعذب الوارد، وأسهموا منها للمساكين وافضلوا عليهم، وعيّنوا الحظوظ منها لديهم، فمن الآثار "يا عائشة، أحسني جوار نعم الله، فإنّها قلّما زالت عن قوم فعادت إليهم". ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها، وتلفّكم الجهالة بسكرها، وتتوهموا أن سعيكم جلبها، وجدّكم حلبها، فالله خير الرازقين، والعاقبة للمتّقين، ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين، والله الله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تذهبوا

بذهابه زينكم، وليلتزم كل منكم لأخيه، ما يشتد به توخيه، بما أمكنه من إخلاص وبر، ومراعاة في علانية وسر، وللإنسان مزية لا تجهل، وحق لا يهمل. وأظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا التعاهد والتزاور، ترغموا بذلك الأعداء، وتستكثروا الأدواء، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان، وطاعة النساء شرّ ما أفسد بين الإخوان، فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه، وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمراً فاحتقروه. والله الله لا تنسوا مقارضة سجلي، وبروا أهل

مودّتي من أجلي، ومن رزق منكم مالاً بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار، فيصبح عرضة للمذلّة والاحتقار، وساعياً لنفسه إن تغلب العدوّ على بلده في الافتضاح والافتقار، ومعوقاً عن الانتقال، أمام النّوائب الثقال، وإذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال في الطلب
أولى، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرّها، ونفعها لا يقوم بضرّها، وأعقاب من تقدّم شاهدة، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده، ومن بلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقليل من المال، وليحذر معاداة الرجال، ومذلات الإذلال، وفساد الخيال، ومداخلة العيال، وإفشاء السر، وسكر الاغترار، وليصن الديانة، ويؤثر الصمت ويلازم الأمانة، ويسر من رضى الله على أوضح الطرق، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق، وليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان، والزعازع تسالم اللّدن اللطيف من الأغصان، وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً، واستظهاراً على الحظوظ وغلاباً، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتحن بها منكم اختياراً، أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً، فليتلقّ وظائفها بسعة صدره، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة، وأسر
وإحنه، وهي بين أخطاء سعادة، وإخلال بعبادة، وتوقع عزل، وإدالة بإزاء بيع جد من الدنيا بهزل، ومزلّة قدم، واستتباع ندم، ومآل العمر كلّه موت ومعاد، واقتراب من الله وابتعاد، جعلكم الله ممّن نفعه بالتبصير والتنبيه، وممّن لا ينقطع بسببه عمل أبيه.

هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها، وتجارتي التي لربحكم أدرتها، فتلقوها بالقبول لنصحها، والاهتداء بضوء صبحها، وبقدر ما أمضيتم من فروعها، واستغشيتم من
دروعها، اقتنيتم من المناقب الفاخرة، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة، وبقدر ما أضعتم لآلي النفيسة القيم، استكثرتم من بواعث الندم. ومهما سئمتم إطالتها، واستغزرتم مقالتها، فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب، وضابط هذا الباب، كان الله خليفتي عليكم في كل حال، فالدنيا مناخ ارتحال، وتأميل الإقامة فرض محال، فالموعد للالتقاء، دار البقاء، جعلها الله من وراء خطة النجاة، ونفّق بضائعها المزجاة، بلطائفه المرتجاة، والسلام عليكم من حبيبكم المودع، والله سبحانه يلأمه حيث شاء من شمل متصدع، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب، ورحمة الله وبركاته.

أحمد أمين[207] يوصي ابنه:

أي بني !
إن الإيمان بالله يملأ فراغ النفس ، ويوحي بالطمأنينة ، ويوثق الصلة بين الفرد وأهله ووطنه ، كما يوثق الصلة بينهم جميعا وبين الله . فنصيحتي لك أن تؤمن ولو ألحد الناس ، وتوثق الصلة بينك وبين الله ولو قطعها الناس .
أي بني !
ليس عندي نصيحة لك أغلى من أن تكوّن ذوقك ثم تنميه ، ترقيه ، فإن فعلت ذلك ضمنت لك سعادة الحياة والاستمتاع بها ، وضمنت لك سمو أخلاقك ونبل عواطفك ، وضمنت لك نجاحك على قدر كفايتك ، والله يوفقك .

يا بني
لا تظن أنك تستطيع أن تكون مهندسا عظيما، بقراءتك في الهندسة وحدها، ولا أن يكون زميلك طبيبا عظيما بقراءته في الطب وحده، فالعقل وحدة، وثقافته في أي موضوع آخر تفيده في الموضوع الذي تخصص فيه، فكم أتت فكرة هندسية عظيمة من قراءة كتاب في الأدب، أو في الاجتماع، وكم أتت فكرة طبية سامية من ثقافة اجتماعية أو فلسفية، ويخيّل إليّ أن كثيرا من الأطباء ينقصهم المنطق مثلا، فلو تعلموا شيئا من المنطق، لاستطاعوا أن يحددوا بالضبط نوع المرض ونوع العلاج، وخاصة في الأمراض التي تتشابه أعراضها،

---

[207] أديب مصري مشهور ، وأحد قادة الفكر العربي في العصر الحديث ، ولد في القاهرة سنة 1878م وتوفي في العام 1954م كان عميدا لكلية الآداب في جامعة القاهرة وعضوا في المجمع اللغوي المصري . يعد من أكبر الداعين إلى التجدد في اللغة والأدب . من مؤلفاته "إلى ولدي " و" الأخلاق" و" حياتي" و " فجر الإسلام "

وتتقارب أوصافها، فالمنطق وحده هو الذي يستطيع أن يقول بناءٌ على هذه الأعراض المتشابه إن هذا المرض كذا ودون كذا، والطبيب الناجح هو الذي منح ملكة منطقية بالفطرة، ولو نميت هذه الملكة الفطرية بشيء من الفلسفة، والمنطق التعليمي، لكان صاحبها أنبغ وأعظم.

يا بني

مفتاح هذه المشكلة أن تجتهد أول مرة أمرك، أن يكون لك هواية في فرع من فروع الثقافة العامة، أو نوع من الأدب أو نوع من الدراسة النفسية، أو الاجتماعية، بجانب دراستك الخاصة، تبدأ فيه على مهل، وتحبب نفسك فيه رويدا رويدا، كما يفعل من يريد أن يمرن نفسه على هواية جمع الزهور ، أو جمع أوراق البريد ، أو الرسم ، أو أي فن من الفنون الجميلة ... فإذا صبرت على هذا قليلاً قليلا ، وجدت أن لذتك تنموا شيئاً فشيئا ، وما تزال كذلك، حتى تصبح هذه الهواية (كيفا) لا تصبر عنه، ولا تستطيع العيش بدونه، ولكنه (كيف)راق، سام، نبيل نافع، فإذا وصلت إلى هذه إلى هذه الدرجة، استخفت من يضيعون أوقات فراغهم في الحديث التافه، واللعب السخيف، والقراءة الرخيصة، وأحببت أن تصادق من قويت ثقافته، ونضج تفكيره.

أليس عجبا أن تسمع من زملائك، أنهم يريدون قتل الوقت بلعب الورق، أو بالحديث التافه، أو بالكلام في أعراض الناس، أو نحو ذلك؟ كأن الوقت عدو يقاتل، مع أنه المادة الخامة للحياة، وهو أجدر بأن يصادق، لا أن يقاتل، ولكن كم يجني الإنسان على نفسه بمعاداة أحق شيء بالصداقة.

أي بني

تصور أنك ستعيش بعد ذلك أربعين عاما أو خمسين، وتصور ماذا، تجني في هذه السنين الطوال، إذا أنت صرفت جزءا كبيرا منها في تقويم نفسك، وتثقيف عقلك، وتهذيب ذوقك، وتصور كيف تخسر، إذا أنت صرفتها، أو أكثرها، في ما يضر ولا ينفع، بل أنت إذا حسبت ذلك بحساب اللذة الشخصية فحسب، وجدتك تتلذذ أضعافا مضاعفة من لذائذك العقلية، أكثر من لذائذك الجسدية.[208]

***<u>**أوصى رجل من ربيعة ابنه فقال**</u>:يا بني؛إذا حزبك أمر فحك ركبتيك بركبة شيخ من قومك وشاوره.

قال:فأردت التزويج؛فأتيت شيخا من قومي في ناديه فجلست إليه حتى خف من عنده.فقال:يا ابن أخي؛ألك حاجة؟

قلت نعم؛أردت التزويج فأتيت أشاورك؛فقال:أقصيرة النسب أم طويلته؟

فما أجدت ولا رديت أي لم اقل جيدا ولا رديا

فقال:يا أبن أخي؛إني لأعرف في العين أذا عرفت؛وأعرف في العين أذا أنكرت؛وأعرف في العين إذا لم تنكر ولم تعرف.فأما العين إذا عرفت فأنها تتخاوص للمعرفة؛وإذا أنكرت تجحظ للإنكار؛وإذا لم تعرف ولم تنكر فإنها تسجوا سجوا؛يا أبن أخي؛لا تتزوج إلى قوم أهل دناءة أصابوا من الدنيا عسرة فتشركهم في دناءتهم ولا يشركونك في أموالهم؛ قال: فقمت وقد اكتفيت[209]

****

[208] إلى ولدي ، أحمد أمين ، فقرات مختارة من الكتاب

[209] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون .

كان دريد بن الصمة يقول:النصيحة ما لم تهجم على الفضيحة.وإذا أجدبتم فلا ترعوا حمى الملوك؛فإنه من رعاه غانما لم يرجع سالما.ولا تحتقروا شرا فأن قليله كثير.ومن خرق ستركم فارقعوه؛ومن حاربكم فلا تغفلوه؛وأحيلوا أحدكم كله عليه.ومن أسدى إليكم خطة خير فأضعفوا له؛وإلا تعجزوا أن تكونوا مثله.ومن كانت له مروءة فليظهرها.ولا تنكحن دنيا من غيكم فإن عاره عليكم.وإياكم وفاحشة النساء.وعليكم بصلة الرحم فإنها تديم الفضل وتزيد النيل.وأسلموا ذا الجريرة بجريرته.ولا تسخطن أحدا من غيركم فتعلقوه بينكم. [210]

****

[210] المصدر السابق

وصية عبد الله بن شداد إلى ابنه محمد :

عليك بتقوى الله ، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية في السر والعلانية فان الشكور يزداد والتقوى خير زاد .

ولا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه وطالب أصبح مطلوباً ما لديه وعلم أن الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان يرى الهوان .

وكن جواداً بالمال في موضع الحق بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر وإن أحمد بخل الحر ، الضن بمكتوم السر .

وإن غلبت يوماً على المال فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم يحتال ، والدنيء عيال ، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً ، أقل ما تكون في الباطل مالا ، فإن الكريم من كرمت طبيعته وظهرت عند الإنفاذ نعمته .

وإن سمعت كلمة من حاسد فكن كأنك لست بالشاهد فإنك إن أمضيتها حيالها رجع العيب على من قالها وكان يقال الأريب العاقل هو الفطن المتغافل .

ولا تواخ امرأً حتى تعاشره وتتفقد موارده ومصادره فإذا استطبت العشرة ورضيت الخبرة فواخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة .

وإذا أحببت فلا تفرط وإذا أبغضت فلا تشطط فانه قد كان يقال : أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيظك يوماً ما وابغض بغيظك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث وإياك وصحبة الأشرار فأنه عار .

****

وقال عتبة بن أبي سفيان يوصي ابنه عمرو لما بلغ الخامسة عشرة من عمره :

يا بني قد تقطعت عنك شرائع الصبا فألزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزيله فتبين منه ، ولا يغرنك من اغتر بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ، فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضي ، قال فيك من الشر مثله إذا سخط ، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غب عواقبهم .

****

*****

وصية بعض الأعلام إلى أبنائهم :

أوصى عروة بن الزبير بنيه فقال:(تعلموا العلم فإنكم أن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قو م آخرين . ثم قال : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وإذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه ، واعلموا أن عنده أخوات .

وقال مصعب بن الزبير يوصي ابنه :(تعلم العلم فإن لم يكن لك مال ، كان لك جمالاً ، وإن لم يكن لك جمال ، كان لك مالا .[211]

****

****

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه :

يا بني تعلموا العلم ، فإن كنتم سادة فقتم ، وإن كنتم وسطا سدتم ، وإن كنتم سوقة عشتم .[212]

[211] أدب الدنيا والدين ، للما وردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ص25

[212] المصدر السابق ، ص25

وصية طاهر بن الحسين

- تعتبر وصية طاهر بن الحسين وثيقة تاريخية هامة ، فقد جاءت هذه الوصية في زمن كثرت فيه الفتن وعلا أزيزها ، فهناك أمور كثيرة أمر المأمون بتغيرها مما جعل الناس في حالة من النفور الدائم ، ويجلس المأمون ويستشير أحمد بن أبي خالد في تولية الطاهر بن الحسين خراسان ، ويصوب أحمد رأي المأمون ، ولكن المأمون يخاف من الطاهر أن يغدر ويفارق الطاعة ، ويطمئنه أحمد ويقول له : الدرك في ذلك عليّ .

ويوليه المأمون ، وبعد مدة ينكر المأمون عليه أمورا ، ويكتب له كتابا يتهدده فيه ، ويكتب طاهر كتابا يغلظ فيه للمأمون ، ثم يقطع اسمه من خطب الجمعة ثلاثا ، ويبلغ ذلك المأمون ، ويفزع إلى أحمد بن خالد ، ويعد أحمد المأمون بأنه بعد أيام سوف يسمع ما يسره ، ثم يهدي أحمد بن خالد لطاهر هدايا فيها كوامخ مسمومة ، وكان طاهر يحب الكوامخ ، فيأكل منها ويموت فورا.

" وتبرز وصية طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون ما بين الرقة إلى مصر ، واحدة من أبرز وصايا الأمراء القادة الذين أدوا دورا ضخما في توطيد دولة المأمون وقتل أخيه الأمين . فقد كان طاهر هذا شاعرا وبليغا ، ووصيته إلى ابنه عدت من الوثائق التاريخية _ الأدبية لما تضمنته من قيم رفيعة . وحين قرأها المأمون قال:

ما أبقى طاهر شيئا من أمر الدنيا والدين والتدبير والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به . ثم أمر

المأمون أن تكتب منها نسخ إلى الولاة كافة في شتى أمصار الخلافة . " [213]

وصية طاهر بن الحسين

وصية طاهر بن الحسين[214] إلى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون ما بين الرقة إلى مصر

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك وألزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر إليه، وموقوف عليه، ومسئول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله، وينجيك يوم القيامة من عذابه،

---

[213] **الوصايا الإسلامية ، سناء ، ص111**

[214] طاهر بن الحسين ، أحد قادة المأمون ، من أصحاب الشأن والسيادة ، حارب مع المأمون ضد أخيه الأمين ، وانتصر في أول لقاء ، عندما أرسل الأمين جيشا قوامه خمسون ألفا للقضاء على المأمون وجيشه وعلى رأسهم علي بن عيسى بن ماهان ، فالتقى بطاهر بن الحسين الذي كان معه أربعة آلاف فارس واقتتلوا قتالا شديدا كانت الغلبة فيه لطاهر ، وطاهر بن الحسين هو القائد الذي حاصر بغداد بأمر من المأمون حتى سقطت وقُتل الأمين وحُمل رأسه إلى أخيه المأمون بخراسان ، ثم جعله المأمون واليا على خراسان بعد أن استشار فيه أحمد بن أبي خالد ، فصوّب أحمد الرأي في تولية طاهر ، فقال المأمون لأحمد : إني أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة . فقال احمد : الدرك في ذلك علي . وحدث ما توقع المأمون ، ثم أن احمد بن خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كوامخ مسمومة وكان طاهر يحب الكامخ ، فأكل منها فمات من ساعته . (بالتصرف ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ابن طبا طبا ، ص217)

واليم عقابه، فإن الله قد أحسن إليك، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه وحدوده فيهم، والذب[215] عنهم، والدفع عن حريمهم وبيضتهم[216] والحقن لدمائهم، والأمن لسبيلهم، وإدخال الراحة عليهم في معايشهم، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك، وموقفك عليه، ومسائلك عنه، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصيرتك

ورؤيتك، ولا يذهلك ، ولا يشغلك عنه شاغل، فإنه رأس أمرك، وملاك شأنك، وأول من يوقفك الله به لرشدك، وليكن أول ما تلزم به نفسك، وتنسب إليه فعالك، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها، وافتتاح ذكر الله فيها وترتل في قراءتك، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك، وأدأب عليها فأنها كما قال الله(تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر)،
ثم اتبع في ذلك الأخذ بسنن الله ورسوله(صلى الله عليه وسلم)، والمثابرة على خلائقه، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه، ولزوم ما انزل الله في كتابه من أمره، وحلاله

---

[215] الذب: الدفع
[216] البيضة : حوزة كل شيء

وحرامه، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قم فيه بما يحق لله عليك، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت، لقريب من الناس أو بعيد، وآثر الفقه وأهله والدين وحملته،وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له، والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والأمر به، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل، وإجلالا له، ودركا للدرجات العلا في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك، والهيبة لسلطانك، والآنسة بك، والثقة بعدلك، وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها، فليس شيء أبين نفعا ولا أحضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له، إذا كان يُطلب به وجه الله ومرضاته، ومرافقة أوليائه في دار كرامته، وأعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب، وإنك لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه، فأته واهتد به تتم أمورك وتزاد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعامتك، وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها، تستدم به النعمة عليك، ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره، فأن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم وأجعل من شأنك حسن

الظن بأصحابك وأطرد عنك سوء الظن بهم، وأرفضه فيهم، يعينك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مفخرا، فإنه إنما يكتفي بالقليل في وهنك، فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك، وأعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك، وتدعو به الناس إلى محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمور الأولياء، والحيطة للرعية، والنظر في حوائجهم وحمل مئوناتهم، آثر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقوم للدين واحيا للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع، ومجزى بما أحسن ومأخوذ بما أساء فإن الله جعل الدين حرزا وعزا، ورفع من أتبعه وعززه، فأسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فأن في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك، وأعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبه والبدعات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك وإذا عاهدت عهدا فأوف به، وإذا وعدت الخير فأنجزه، وأقبل الحسنة وأدفع بها، وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك، وأشدد لسانك عن قول الكذب والزور، وأبغض أهله، وأقص أهل النميمة فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب وعلى الجرأة على الكذب رأس المآثم، والزور والنميمة خاتمتها ،لأن النميمة لا يسلم صاحبها، وقائلها لا يسلم له صاحب، ولا يستقيم

لمطيعها أمر، وأحب أهل الصدق والصلاح، وأعز الأشراف بالحق، وواصل الضعفاء وصل الرحم، وابتغ بذلك وجه الله عز وجل وعزة أمره، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة، واجتنب سوء الأهواء والجور، وأصرف عنهما رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك، وأنعم بالعدل في سياستهم وقم بالحق فيهم، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى، واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم، وإياك والحد والطيش والغرور فيما أنت بسبيله، وإياك أن تقول: إني مسلط افعل ما أشاء، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأي، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له، وأخلص لله النية فيه واليقين به وأعلم أن الملك لله، يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلى أحد، أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله، ودع عنك شره نفسك، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدهمائهم والإغاثة لملهوفهم، وأعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر، وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم، وكف المئونة عنهم، نمت وربت وصلحت به العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان وأعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم، وأوف رعيتك من ذلك حصصهم، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم، فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك، واستوجبت المزيد من الله، وكنت بذلك على جباية

خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أساسا لطاعتهم، وأطيب نفسا لكل ما أردت، فأجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب، ولتعظم حسنتك فيه، فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه، وأعرف للشاكرين شكرهم، وأثبهم عليه، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة، فتتهاون بما يحق عليك، فإن التهاون يوجب التفريط، والتفريط يورث البوار، وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى وأرج الثواب، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا، وأظهر لديك فضله، فأعتصم بالشكر، وعليه فأعتمد، يزدك الله خيرا وإحسانا، فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين، وسيرة المحسنين، وقضاء الحق فيما حمل من النعم والبس من العافية والكرامة، ولا تحقرن ذنبا، ولا تملئن حاسدا، ولا ترحمن فاجرا، لا تصلن كفورا، ولا تداهن عدوا، ولا تصدقن نماما، ولا تأمنن غدارا، ولا توالين فاسقا، ولا تتبعن غاويا، ولا تحمدن مرائيا، ولا تحقرن إنسانا، ولا تردن سائلا فقيرا، ولا تجيبن باطلا، ولا تلاحظن مضحكا، ولا تخلفن وعدا، ولا تزهون فخرا، ولا تظهرن غضبا، ولا تأتين بذخا، ولا تمشين مرحا، ولا تركبن سفها، ولا تفرطن في طلب الآخرة، ولا ترفع لنمام عينا، ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا، وأكثر مشاورة الفقهاء وأستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل، ولا تسمعن لهم قولا فإن ضررهم أكثر من منفعتهم، وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح وأعلم أنك إذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ قليل العطية،

وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ويدوم صفاء أوليائك لك، بالأفضال عليهم وحسن العطية لهم فأجتنب الشح وأعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه، وأن العاصي بمنزلة خزي، وهو قول الله عز وجل(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فسهل طريق الجود بالحق وأجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد، فأعدده لنفسك خلقا وأرض به عملا ومذهبا، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وأدرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معايشهم، ليذهب بذلك الله فاقتهم، ويقوم لك أمرهم، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه أحد البابين باستشعار تكملة الباب الآخر، ولزوم العمل به تلق أنشاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا، وأعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور، لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية، وتأمن السبل، وينتصف المظلوم، ويأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة، ويؤدي حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجري السنن والشرائع، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء، وأشتد في أمر الله وتورع عن النطف وأمض لإقامة الحدود، وأقلل العجلة، وأبعد من الضجر والقلق، وأقنع بالقسم، ولتسكن ريحك ويقر جدك وأنتفع بتجربتك، وأنتبه في صمتك وأسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف

عند الشبهة وأبلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب، وأنظر وتدبر وتفكر وأعتبر وتواضع لربك وأرأف بجميع الرعية، وسلط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك الدم(فإن الدماء من الله مكان عظيم) انتهاكا لها بغير حقها وأنظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية، وجعله الله للإسلام عزا ورفعة، ولأهله سعة ومنعا، ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولأهل الكفر من معاديهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه، ولا عن غني لغناه، ولا عن كاتب لك ولا أحد من خاصتك، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلفن أمرا فيه شطط وأحمل الناس كلهم على مر الحق، فأن ذلك أجمع لألفتهم، وألزم لرضا العامة، وأعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا، وإنما سمى أهل عملك رعيتك لأن راعيهم وقيمهم، تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم، فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل، والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك، ولا يشغلنك عنه شاغل، ولا يصرفنك عنه صارف، فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب، استدعيت به زيارة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة في عملك، واحترزت النصيحة من رعيتك، واعنت على الصلاح، فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك، فكثر خراجك وتوفرت أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جندك،

وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك، وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئا تحمد مغبة أمرك إن شاء الله وأجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأمره كله وإن أردت أن تأمره بأمر، فأنظر في عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمضه، وإلا فتوقف عنه، وراجع أهل البصر والعلم ثم خذ فيه عدته فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى فقواه ذلك وأعجبه وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره، فأستعمل الحزم في كل ما أردت، وباشره بعد عون الله بالقوة وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك، وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك، فإن لغد أمور وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت وأعلم أن اليوم إّذا مضى ذهب بما فيه، فإذا أخرت عمله أجتمع عليك أمر يومين، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت أمور سلطانك، وأنظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم، ثم أستيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالطة على أمرك فأستخلصهم وأحسن إليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة، فأحتمل مئونتهم وأصلح حالهم، حتى لا يجدوا لخلتهم مسا، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه، فسأل عنه أحفى مسألة، ووكل

بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم، وأجعل لهم أرزاقا من بيت المال، إقتداء بأمير المؤمنين-أعزه الله- في العطف عليهم والصلة لهم، ليصلح الله بذلك عيشهم، ويرزقك به بركة وزيادة، وآجر للأضراء من بيت المال، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية على غيرهم، وأنصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم، وقواما يرتفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم، ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال، وأعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم، لم يرضهم ذلك، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعا في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم، وربما برم المتصفح لأمور الناس، لكثرة ما يرد عليه، ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنه ومشقة وليس من يرغب في العدل ،ويغرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الأجل كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله، ويلتمس رحمته به وأكثر الأذن عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم أحراسك وأخفض له جناحك، وأظهر لهم بشرك ولن له في المسألة والمنطق وأعطف عليهم بجودك وفضلك وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب النفس والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا منان فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله وأعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ثم أعتصم في أحوالك كلها بأمر الله، والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه وأجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله وأعرف ما تجمع

عمالك من الأموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق إسرافا وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك إتباع السنن وإقامتها وإيثار مكارم الأمور ومعاليها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر، وإعلامك ما فيه من النقص فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك، وأنظر عمالك الذي بحضرتك وكتابك فوقّت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيتك ثم فرّغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر إليه والتدبير له فما كان موافقا للحزم والحق فأمضه، وأستخر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فأصرفه إلى التثبت فيه والمساءلة عنه، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين، ولا تضمن المعروف إلا على ذلك، وتفهّم كتابي إليك وأكثر النظر فيه والعمل به، وأستعن بالله على جميع أمورك وأستخره فإن الله مع الصلاح وأهله، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رعيتك، ما كان لله رضا، ولدينه نظاما ولأهله عزا وتمكينا وللذمة والملة عدلا وصلاحا وأنا أسئل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك، وإن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا وأوفرهم حظا واسناهم ذكرا وأمرا، وإن يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك، ويرزقك من رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك ووساوسه، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق إنه قريب مجيب.

الباب الثالث عشر

وصايا النساء

إعرابية توصي ولدها

قال أبان بن تغلب وكان عابدا من عباد البصرة ، شهدتُ إعرابية توصي ولدا لها يريد سفرا وهي تقول : أي بني ،اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك . قال أبان :

فوقفت مستمعا لكلامها ، مستحسنا لوصيتها ، فإذا هي تقول :

يا بني ،إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين . وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت السهام غرضا إلا كلمت حتى يهي ما اشتد من قوته .وإياك والجود بدينك والبخل بمالك . وإذا هززت فهزز كريما يلين لمهزتك ،ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها . ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحته من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه . ومن كانت مودته في بشره وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها .

ثم أمسكت ، فدنوت منها فقلت : بالله عليك يا إعرابية ألا ما زدته في الوصية .

قالت : أوقد أعجبك كلام العرب يا عراقي ؟

قلت : نعم . قالت : والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم .ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة :ربطها وسربا لها .[217]

[217] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية ، وكانت أعقل النساء ، أريد الحج فأوصني ، فقالت :

أوجز فأبلغ أم أطيل فأحكم ؟؟

قلتُ : ما شئت.

قالت : جد تسد ، واصبر تفز .

قلتُ أيضا . قالت : لا يبعد غضبك حلمك ، ولا هواك علمك ، وق دينك بدنياك ، وفر عرضك بعرضك ، وتفضل تخدم ، واحلم تقدم .

قلتُ: ومن استعين ؟

قالت : الله عز وجل .

قلتُ : فمن الناس ؟

قالت : الجلد النشيط والناجح الأمين .

قلتُ : فمن استشير ؟؟

قالت: المجرب الكبير أو الأدي الصغير .

قلتُ : فمن أصحب ؟؟

قالت : الصديق المسلم أو الراجي المتكرم .ثم قالت : يا أبتاه ، انك تفد إلى ملك الملوك فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

******

وصية أمامه بنت الحارث[218] لابنتها يوم حملت إلى زوجها الحارث بن عمرو[219]

"أي بنية إن الوصية لو تُركت لعقل وأدب ، أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك ، ولزويته عنك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ، ومنبهة للغافل.
أي بنية ، إنه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن للرجال خُلق النساء ، كما لهن خُلق الرجال.
أي بنية ، إنك قد فارقت الحواء الذي منه خرجت ، والوكر الذي منه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تأليفه ، فأصبح بملكه عليك ملكاً ، فكوني له أمة يكن لك عبداً ، واحفظي عني خلالاً عشراً ، تكن لك دركاً وذكراً ، فأما الأولى و الثانية فالمعاشرة له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة ، فإن في القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.
و أما الثالثة و الرابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح . واعلمي ، أي بنية ، أن

---

[218] أمامة بنت الحارث ، وهي امرأة ذات نبل وشرف ، وهي زوج عوف بن ملحم بن شيبان ، وهو من أشراف العرب في الجاهلية وقد أوصت ابنتها يوم حملت إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة.

[219] ، الحارث بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ، من ملوك الدولة اللخمية في الحيرة ، ولي بعد موت أخيه امرئ القيس، وطالت مدته . (الزر كلي : الأعلام 11/2)

الماء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبه ، وتنغيص النومة مغضبة .
وأما السابعة و الثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم و العيال من حسن التدبير .
أما التاسعة والعاشرة : فلا تفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً ، فإنك أن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .
واتقي الفرح لديه إن كان ترحا ، والاكتئاب عنده إذا كان فرحا ، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير .
وأعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك ، ورضاه على رضاك ، فيما أحببت وكرهت . والله يخير لك ، ويصنع لك برحمته . فلما حملت إليه غلبت على أمره ، وحظيت عنده .[220]

[220] الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام فريح ، ص37

الباب الرابع عشر

وصايا الخلفاء لمؤدبي أولادهم

وصايا الخلفاء لمؤدبي أولادهم

* عمر بن عبد العزيز يوصي مؤدب ولده

قال عمر بن عبد العزيز[221] يوصي سهل بن صدقة مؤدب ولده:

أمّا بعد، فأني اخترتُك على علم مني بك لتأديب ولدي، فصرفتُهم إليك عن غيرك من مواليّ، وذوي الخاصة بي، فحدّثهم بالجفاء، فهو أمعن لإقدامهم، وترك الصحبة فإن عادتها تُكسب الغفلة، وقلة الضحك، فإن كثرته تميت القلب.

وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني، واللهج بها ينبت النفاق في قلبه، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به.

وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القران، يثبت في قراءته، فإذا فرغ تناول قوسه ونبله، وخرج إلى الغرض حافيا، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف إلى القائلة[222]، قيلوا، فإن ابن مسعود[223] (رضي الله عنه) كان يقول:يا بني قيلوا فأن الشياطين لا تقيل.

****

---

[221] عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم في العدل وحسن السياسة
(الزر كلي : الأعلام 5/ 50).

[222] القائلة : النوم بعد صلاة الظهر

[223] هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي من أكابر الصحابة فضلا وعقلا وقربا من الرسول صلى الله عليه وسلم كان خادمه ، وصاحب سره ، ورفيقه في حله وترحاله (الزر كلي : الأعلام)

عتبة بن أبي سفيان يوصي مؤدب ابنه

قال عتبة بن أبي سفيان[224] يوصي مؤدب ابنه:
ليكن أول ما تبدأ من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا
يعجل بالدواء قبل معرفة الداء، وجنّبهم محادثة النساء، وروّهم سير الحكماء، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك، وإياك أن تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك، وزد في تأديبهم أزدك في بري، إن شاء الله تعالى.

أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي لما اتخذه مؤدباً:

إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله وأداء الأمانة فيه بخلال: أوّلها أنك مؤتمن عليه، والثانية أنا إمام ترجوني وتخافني، والثالثة كلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه، وفي

---

1) [224] هو عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أمير مصر ، وليها من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة 43هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا ، فابتنى دارا في حصنها القديم وتوفي بها (الزركلي : الأعلام 200/4)

هذه الخلال ما يرغبك في ما أوصيك به، أن أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشراً يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به، ثم روّه من الشعر أحسنه، ثم
تخلل به في إحياء العرب فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً، وبصره طرفاً من الحلال والحرام والخطب والمغازي، ثم أجلسه كل يوم للناس ليتذكر.

****

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده:

ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك،
فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح ما استقبحته. علمهم كتاب الله، وروهم من
الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تكرههم على علم فيملوه ولا تدعهم فيهجروه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم.
وعلمهم سير الحكماء وهددهم وأدبهم دوني، ولا تتكل على كفاية منك واستزدني بتأثيرك أزدك إنشاء الله تعالى.

**** وضرب أبو مريم مؤدب الأمين والمأمون الأمين بعود فخدش ذراعه.
فدعاه الرشيد إلى الطعام فتعمد أن حسر عن ذراعه، فرآه الرشيد، فسأله فقال: ضربني أبو مريم، فبعث إليه ودعاه قال فخفت، فلما حضرت قال: يا غلام وضئه. فسكنت وجلست آكل فقال: ما بال محمد يشكوك؟ فقلت: قد غلبني خبثاً وغرامة! قال: أقتله فلأن يموت خير من أن يموق.

هارون الرشيد يوصي مؤدب ولده

قال هارون الرشيد[225] يوصي الأحمر النحوي[226] مؤدب ولده الأمين:

يا أحمرُ، إنّ أمير المؤمنين قد دفع أليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصّير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين.
أقرئه القرآن، وعرّفه الآثار، وروّه الأشعار، وعلّمه السنن، وبصّره مواقع الكلام وبدأه، وامنعه الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا إليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها، من غير أن تخرق به فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما، فعليك بالشدة والغلظة، وبالله توفيقكما.[227]

---

[225] هو هارون بن محمد بن منصور العباسي ، خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم ، كان عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه ، وهو صاحب وقعة البرامكة (الزركلي : الأعلام 62/8)

[226] هو علي بن الحسن المعروف بالأحمر ، مؤدب المأمون العباسي ، وشيخ النحاة في عصره ، كان في صباه جنديا من رجال النوبة على باب الرشيد ، وأخذ العربية عن الكسائي ، فنبغ ، وأوصله الكسائي إلى الرشيد ، فعهد إليه بتأديب أبنائه (الزر كلي : الأعلام 271/4)

[227] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ، ص112

الباب الخامس عشر

وصايا متفرقة

* وصية جعفر الصادق

قلت: يا أبا عبد الله أوصني،قال :أوصيك بتسعة أشياء ،فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى اسأله أن يوفقك لاستعمالها: ثلاثة منها في رياضة النفس ،وثلاثة منها في الحلم ،وثلاثة منها في العلم، فأحفظها، وإياك والتهاون بها، قال عنوان :ففرغت قلبي له، فقال :أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل مالا تشتهيه فانه يورث الحماقة والبله ولا تأكل إلا عند الجوع وإذا أكلت فكل حلالا وسمّ الله واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" ،وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك :إن قلت واحدة سمعت عشرا فقل له إن قلت عشرا لم تسمع واحدة ،ومن شتمك فقل له :إن كنت صادقا فيما تقول فأسأل الله تعالى أن يغفر لي وان كنت كاذبا فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك ،ومن وعدك بالخنى فعده بالنصيحة والدعاء. وأما اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئا وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا واهرب من الفتيا هروبك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسرا. [228]

*

[228] الكشكول ، بهاء الدين العاملي ، ص5

أكثم بن صيفي يوصي بني تميم

قال أكثم بن صيفي[229] يوصي بني تميم يوم الكلاب[230]،حين سارت إليهم مذ حج:
استشيروا، وأقلوا الخلاف على أمرائكم، وإياكم وكثرة الصياح في الحرب، فإن الصياح من الفشل،وكونوا جميعا، فإن الجميع غالب، والمرء يعجز لا المحالة، تثبتوا ولا تسارعوا، فإن أحزم الفريقين أركنهما، ورب عجلة تهب ريثا[231]،وتنمروا للحرب، وادرعوا الليل، واتخذوه جملا[232]، فإن الليل أخفى للويل [233]ولا جماعة لمن أختلف.[234]

وصية أبي عبيدة بن الجراح

تحدث لوط بن يحيى أبو مخنف قال: لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن وبها قبره دعا من حضره من المسلمين فقال: إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا وحجوا واعتمروا، وتواصلوا، وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرءاً لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى

---

[229] هو أكثم بن صيفي بن رياح الحارث ، حكيم العرب في الجاهلية ، عاش زمنا طويلا ، وأدرك الإسلام ، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام ، فمات في الطريق ، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه (الزر كلي : الأعلام 6/2)

[230] يوم الكلاب ، معركة جرت بين بني تميم وبني مذحج
[231] الريث: البطء ، مثل عربي يضرب لضرورة التأني
[232] مثل عربي
[233] مثل عربي
[234] أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف ص49

مثل مصرعي هذا الذي ترون. إن الله كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم ميعاده. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. يا معاذ بن جبل، صل بالناس.

ومات رحمه الله، فقام معاذ بن جبل إلى الناس فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا، فإن عبداً لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له. من كان عليه دين فليقضه، فإن العبد مرتهن بدينه، ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه، ولا ينبغي أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث، والذنب في ذلك عظيم. إنكم، أيها المسلمون، قد فجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبداً أبر صدراً، ولا أبعد من الغائلة وأشد حباً للعافية، ولا أنصح للعامة منه. فترحموا عليه رحمه الله، ثم احضروا للصلاة عليه.

الزمخشري يوصي بكتابة هذه الأبيات على قبره :

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبدٍ تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول

وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هذه الأبيات بمدينة حلب وقال: إن الزمخشري المذكور أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات، ثم أنشدني ذلك الفاضل الرئيس بيتين وذكر أن صاحبهما أوصى أن يكتبا على قبره وهما:

إلهي قد أصبحت ضيفك في الثرى
وللضيف حق عند كل كريم
فهب لي ذنوبي في قراي فإنها
عظيم ولا يفرى بغير عظيم

****

قال ابن عوف: لما مات أنس بن مالك أوصى أن يصلي عليه ابن سيرين ويغسله، قال: وكان ابن سيرين محبوسا، فأتوا الأمير - وهو رجل من بني أسد - فأذن له، فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس بألطف، ثم رجع فدخل كما هو إلى السجن، ولم يذهب إلى أهله.

قلت: وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن الذي غسل أنس بن مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والي البصرة، وكذلك قال أبو اليقظان.

قال: ولما احتضر معاذ بن جبل قال لوط بن يحيى: حدثنا الصعب ابن زهير عن شهر بن حوشب قال: أتى آت معاذ بن جبل عند موته فقال: يا معاذ، أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني، فلعلي أحتاج إلى سؤال الناس بعدك، فلا أجد فيهم مثلك. قال معاذ: بلى، صلحاء الناس بحمد الله كثير، ولن يضيع الله أهل هذا الدين. خذ عني ما آمرك به: كن من الصائمين بالنهار، والمستغفرين بالأسحار، والذاكرين الله على كل حال، ولا تشرب الخمر، ولا تعقق والديك، ولا تأكل مال اليتيم، ولا تفر من الزحف، ولا تأكل الربا، ولا تدع الصلاة المكتوبة، وصل رحمك لله، وكن بالمؤمنين رءوفا رحيماً. وأنا لك بالجنة زعيم. ثم مات رحمه الله. فصلى عليه عمرو بن العاص.

****

وصية قيس بن عاصم المنقري:

ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بنِ أبي سفيان، فأشار له إلى الوسادة فقال له: اجلِسْ، فجلس على الأرض، فقال له معاوية: وما منعك يا أحنَفُ مِن الجلوس على الوسادة؟ فقال يا أميرَ المؤمنين، إنّ فيما أوصى به قيسُ بنُ عاصمٍ المِنقريُّ وَلدَه أنْ قال: لا تَغْشَ السُّلطانَ حتَّى يَمَلَّك، ولاَ تقطعه حتَّى ينساك، ولا تجلس له في فِراش ولا وِساد، واجعلْ بينك وبينه مجلِسَ رجلٍ أو رجُلين؛ فإنَّه عسى أن يأتيَ مَن هو أولى بذلك المجلس منك فتُقامَ له، فيكونَ قيامُك زيادةً له، ونُقصاناً عليك، حَسْبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين، لعلَه أن يأتيَ مَن

هو أولى بذلك المجلس منِّي؛ فقال معاوية: لقد أُوتِيَتْ تميمٌ الحِكمَة، مع رِقَّة حواشي الكلِم، وأنشأ يقول من السريع:

يا أيُّها السائلُ عَمَّا مضى وعِلْمِ هذا الزَّمِن العائِبِ
إن كنتَ تبغي العلمَ أو أهلَه أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائِبِ
فاعتبرِ الأرضَ بسُكَّانها واعتبر الصَّاحبَ بالصَّاحبِ

وصى رجل آخر ،وأراد سفرا ،فقال:آثر بعملك معادك،ولا تدع لشهوتك رشادك.

وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى،ويعصمك من الردى.ألجم هواك عن

الفواحش، وأطلقه في المكارم، فإنك تبر بذلك سلفك، وتشيد شرفك.[235]

قال عبد الملك بن مروان للشعبي وهو يعلم أولاده:علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن،

وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رعية،وأقلهم أدبا، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة.

وأحف شعورهم تغلظ رقابهم،وأطعمهم اللحم تصح عقولهم وتشتد قلوبهم،وعلمهم

[235] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

الشعر يمجدوا وينجدوا،ومرهم أن يستاكوا عرضا،ويمصوا الماء مصا ولا يعبوه عبا.

وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر ولا يعلمه أحد من الحاشية

فيهونوا عليهم.[236]

.كتب سفيان الثوري[237] إلى عباد بن عباد

: أما بعد فإنك في زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه في ما بلغنا ، ولهم من العزم ما ليس لنا ولا لك ، ولهم من العلم ما ليس لنا ولا لك. فكيف بنا وقد أدركتاه على قلة علم وبصر وقلة أعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس. فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فإن عمر يقول : إياكم والطمع فإنه فقر حاضر ، وإن اليأس غنى ، وفي العزلة راحة من خليط السوء . وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة .

---

[236] المصدر السابق

[237] سفيان بن سعيد الثوري ، ولد سنة 97هـ/ 716م بالكوفة في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وتوفي سنة 161هـ / 778م في خلافة المهدي بن المنصور العباسي ، فقد عاصر ثمانية خلفاء من العصر الأموي ، وثلاثة خلفاء من العصر العباسي ، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه ، وهو من تابعي التابعين .

وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك . والنجاة في تركهم فيما ترى . وإياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء.

وإياك أن تُخدع فيقال : ذلك رجل تشفع فيه ترده عن مظلوم أو ترده عن مظلمة ، وإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخا . وكان يقال : اتقوا فتنة العابد وفتنة العالم فإن فيهما فتنة لكل أحد .

إياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو يسمع من قوله ، فإذا لم تزل كذلك فقد عرفت .

وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهذا باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء . واعمل بنية فإن الحسن رحمه الله كان يقول : رحم الله عبدا وقف عند همه ، فإنه ما من عبد يعمل حتى يهم ، فإن كان له مضى ، وإن كان عليه أمسك ، فإن النية ليست كل ساعة تقع .

وإن طاووس قيل له : ادع لنا بدعوات فقال : ما أجد الآن لذلك نية .

وكان حذيفة رضي الله عنه يقول : يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق . وسئل حذيفة عن أي الفتن أشد فقال : أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تترك .
وقد ذُكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تزال يد الله على هذه الأمة في كنفه ، ما لا يمل قراؤهم إلى أمرائهم وما لم يوقر خيارهم شرارهم ، وما لم يعظم أبرارهم فجارهم ، ، فإذا فعلوا ذلك رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب ، وأنزل عليهم الفاقة ، وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب. .
وقال حذيفة : لا يأتيهم أمر يضحكون منه إلا ردف أمر يشغلهم عن ذلك . فليكن الموت من شأنك وبالك . وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت فإنكم إذا ذكرتموه في قليل كثر.

وأعلم أنه قد دنا من الناس أمور وحضرت أمور يشتهي لها الرجل الموت، والسلام. [238]

قيل لهرم بن حيان في مرضه :أوص؛فقال:نفسي صدقتني في الحياة فما أترك شيئا أوصي فيه إلا فرسي ودرعي؛وهما في سبيل الله ؛وسبعين درهما من عطائي تكفنوني بها.وأوصيكم بخواتيم سورة النحل "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"[239]

---

[238] التذكرة الحمد ونية ، ابن حمدون

1) [239] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون

قال أكثم بن صيفي: يا بني تميم، لا يفوتنكم وعظي أن فاتكم الدهر بنفسي. وإن بين حيزومي وصدري لبحراً من الكلم لا أجد له مواقع غير أسماعكم، ولا مقار إلا قلوبكم، فتلقوها بأسماع صاغية، وقلوب واعية، تحمدوا عواقبها:
إن الهوى يقظان، والعقل راقد،
والشهوات مطلقة، والحزم معقول، والنفس مهملة، والروية مقيدة، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم، ولن يعدم المشاور مرشداً، والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل. ومن سمع... سمع به. ومصارع الألباب تحت ظلال الطمع، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا في مقاتل الألباب تحت ظلال الطمع، ولو اعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا في مقاتل الكرام. وعلى الاعتبار طريق الرشاد. ومن سلك الجدد أمن العثار. ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويؤرص غيظه، ولا يجاوز نفسه ضره. يا بني تميم:
الصبر على
جرع الحلم أعذب من جني ثمر الندم. ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم. وكلم اللسان أنكى من كلم الحسام. والكلمة مزمومة ما لم تنجم من الفم، فإذا نجمت فهي سبع مخرب، ونار تلتهب. ورأي الناصح اللبيب دليل لا يجوز. ونفاذ الرأي في الحرب أنفذ من فالحفظ لماله والإرعاء على حشمه وعياله، واعلمي أن أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والارعاء على الحشم والعيال حسن التدبير.

الباب السادس عشر

من أوصى بشر عند موته وذكر قساوة قلبه:

لما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال: ين بني إن قوماً سيأتونكم قد قرحوا جباههم وعرضوا لحاهم، يدعون أن لهم عند أبيكم ديناً فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما أن غفرها الله لم تضره هذه، وإلا فهي معها.

ولما حضرت سعد بن زياد الوفاة:

جمع ولده وقال: يا بني أوصيكم بالناس شراً، كلموهم نزراً واطعنوهم شزراً، ولا تقبلوا لهم عذراً، اقصروا الأعنة واشحذوا الأسنة، وكلوا القريب يرهبكم البعيد.

ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لقومه:

أروني من يقوم لكم مقامي
إذا ما الأمر جل عن الخطاب؟
إلى من تفزعون إذا حثيتم
بأيديكم علي من التراب؟

فقالت مولاة له: إلى الله تعالى. فقال: أتتكلين على غيري وأنت تعيشين في مالي؟امحوا اسمها وكتبها من الوصية.

وقيل للحطيئة: أوص يا أبا مليكه:.

قال: نعم أخبروا الشماخ أنه أشعر العرب!فقيل: أوص للمساكين!فقال: أوصيهم بالإلحاف في المسألة!قيل: أعتق عبدك فلاناً. قال: هو عبد ما بقي على ظهر الأرض، وعتيق إذا صار في بطنها!فقيل: أوص فإن لك بنات قال: مالي للذكور دون الإناث. فقالوا له: إن الله لم يقل كذا. قال: أنا أقوله.

قيل: فأوص للأيتام بشيء. قال: كلوا أموالهم وانكحوا أمهاتهم. ثم قال: احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط، وويل للشعر من رواة السوء!

وكان دريد بن الصمة قد عاش أربعمائة عام، فلما نزل به الموت قال لولده: أوصيكم بالناس شراً طعناً لزاً وضرباً أزاً، وإن أردتم المحاجزة فقبل المناجزة، اقصروا الأعنة وأطيلوا الأسنة وارعوا الكلأ. ثم قال:

اليوم هيي لدريدٌ بيته يا رب بهت حسن حويته
ومعصمٍ ذي مرةٍ لويته لو كان للدهر بلى أبليته
-أو كان قرني واحداً كفيته

****

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات، واستخلف على نواحي فم النيل خليفة
فكتب إليه:

الحمد لله وشكراً له والله أهل الحمد والشكر
يا أيها الذئب الذي اخترته خليفة ينظر في أمري
أوصيك بالأغنام شراً وهل يوصي أبو جعدة بالشر
امش إليها مشية الليث أو فاحمل عليها حملة البر
ولا تدع في النيل من إثرها إلا بقايا الصوف والبعر
أنظر إلى السكباج من شمها أو مر مجتازاً على القدر
فاقبض على لحيته واحدة من حيلةٍ في أمرها تجري
أريد أن تحصي طاقاتها ولك ما فيها من الشعر
اعمل بها لي عمراً جامعاً مستظهراً فيه كما تدري
واحذر إذا وفيتها في غدٍ أن ينقص الكيل عن الحزر

حتى إذا جئتك سلمتها
بذلك الإحصاء إلى جحري
أوصيك في القوم بهذا الذي
عقدته في السر والجهر
واضطرني جور زماني إلى
معيشة تزري على الحر
والدهر قد صارت به هيضةٌ
فنحن غرقى في خرا الدهر

الباب السابع عشر

ترجمة ابن الجنان[240]

وهو محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري من أهل مرسية، أبو عبد الله ابن الجنان.

كان محدثاً راوية ضابطاً، كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً، رائق الخط، ديناً فاضلاً، خيراً ذكيّاً، استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق منه، ثم خلصه الله تعالى منه، وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القماءة، حتى يظن رائيه الذي استدبره أنّه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها، متناسب الخلقة، لطيف الشمائل وقوراً، خرج من بلده حين تمكن العدوّ من قبضته سنة 640، فاستقرّ بأربولة إلى أن دعاه إلى سبته الرئيس أبو علي ابن خلاص، فوفد عليه، فأجلّ وفادته، وأجزل إفادته، وحظي عنده حظوة تامّة، ثم توجّه إلى إفريقية، فاستقر ببجاية، وكانت بينه وبين كتّاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته، وروى ببلده وغيره عن أبي بكر ابن خطاب وأبي الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع ابن سالم وأبي عيسى ابن أبي السداد وأبي علي الشلوبين وغيرهم، وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلّم بدائع، ونظم في المواعظ للمذكرين كثيراً؛ انتهى مختصراً، وإلا فترجمته في الإحاطة متسعة، رحمه الله تعالى.

ولمّا كتب له أبو المطرف ابن عميرة برسالته الشهيرة التي أوّلها تحييك الأقلام تحية كسرى، وتقف دون مداك

---

[240] (من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني)

حسرى وهي طويلة، أجابه بما نصّه: ما هذه التحية الكسروية؟ وما هذا الرأي وهذه الروية؟ أتنكيت من الأقلام؟ أو تبكيت من الأعلام؟ أو كلا الأمرين توجّه القصد إليه، وهو الحق مصدقاً لما بين يديه؟ وإلاّ فعهدي بالقلم يتسامى عن عكسه، ويترامى للغاية البعيدة بنفسه، فمتى لانت أنابيبه للأعاجم، ودانت أعاريبه للأعاجم؟ وا عجبا لقد استنوق الجمل، واختلف القول والعمل، لأمر ما جدع أنفه قصير، وارتد على عقبه الأعمى أبو بصير، أمس أستسقي من سحابه فلا يسقيني، وأستشفي بأسمائه فلا يشفيني، واليوم يحلّني محلّ أنوشروان، ويشكو مني شكوى الزيدية من بني مروان، ويزعم أنّي أبطلت سحره ببئر ذروان، ويخفي في نفسه ما الله مبديه، ويستجدي بالأثر ما عند مستجديه، فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة، والشريعة المبتدعة؟ أيظن أن معمّاه لا ينفك، وأنّه لا ينجلي هذا الشك؟ هل ذلك منه إلا إمحاض التّيه، وإحماض تفتّيه، ونشوة من خمر الهزل، ونخوة من ذي ولاية آمن من العزل؟ تالله لولا محلّه من القسم، وفضله في تعليم النّسم، لأسمعته ما ينقطع به صلفه، وأودعته ما ينصدع به صدفه، وأشرت بطرف المشرفي وحدّه، وأشرت إلى تعاليه عن اللعب بجدّه، ولكن هو القلم الأوّل، فقوله على أحسن الوجوه يتأوّل، ومعدود في تهذيبه، كل ما لسانه يهذي به، وما أنساني إلا الشيطان .

<u>وصية لابن الجنان على لسان ابن هود:</u>[241] لم تزل عادة الأكابر من العلماء والملوك الوصية لأولادهم وعمالهم

[241] (من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني)

باقتفاء النهج الذي يرون فيه السلوك، وقد وقفت للفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد ابن الجنّان المرسي الأندلسي رحمه الله تعالى وصية ضمن رسالة كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه اشتملت على ما لا بدّ منه، فرأيت أن أذكرها هنا تتميماً للفائدة، ونصها بعد الصدر:

من مجاهد الدين، وسيف أمير المؤمنين، عبد الله المتوكّل عليه أمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود، أيده الله تعالى بنصره، وأمدّه بتمكينه، وأعانه على ما ينويه من إحياء معالم دينه، إلى صنونا المبارك، وقسيمنا وأخينا المخصوص بتبجيلنا وتكريمنا، وحسامنا وأصوله:

فأوّل ما نوصيكم به وأنفسنا تقوى الله في كل حال، ومراقبة أوامره ونواهيه عند كل انتحاء وانتحال، والوقوف عند حدود الله التي حدها، وأرصدها بإزاء موجباته وعدها، فإنّه لا يتعداها إلاّ من رام تعفّي رسمها وطمسه "ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه" سورة الطلاق: 1 والمحافظة على ما به تحفظ الشريعة، والملاحظة لما يضم الرعايا من حوزة أولي الحياطة المنيعة، والمثابرة على ما تكف به أكف الاعتداء، والمبادرة إلى الاهتمام بالسلف الصالح والاقتداء، والطريقة المثلى، وآيات الله التي تتلى، وهداياته التي لأبصار البصائر تجلى، وخفض الجناح، والأخذ بالرفق والإنجاح، وتوخي الحق الذي هو أوضح انبلاجاً من فلق الإصباح، والحلم والأناة، والمذاهب المستحسنات، والأمور البيّنات.

والله الله في الدماء فإنّها أوّل ما يقضى بين الناس يوم القيامة فيها، ولا سبيل لاستحلالها إلا بعد ثلاث: كفر بعد

إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل المسلم لأخيه، وقد قال مالك الأمر والخلق "ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلا بالحقّ" الأنعام: 151 فتثبتوا فيها فأمرها جليل، وتحريمها لا يدخله تحليل، وإياكم أن تجعلوا فيها لأحد من ولاة الجهاد حكماً أو نظراً، أو تكلوا إليهم منها مستكثراً أو مستنزراً، فإنّه إذا استبدّ بالقضاء فيها كل وال ذهبت هدراً، واستباحها الجاهل والجائر أشراً وبطراً، وربما كان فيهم من في طباعه سبعيه فيقتل بها
الناس قتلاً ذريعاً، ويتسهّل بذلك من جوره صعباً ويرتكب بجهله شنيعاً، ويذهل عن قول الله تعالى "من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعاً، ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً" المائدة: 32 فأنّى تحل المسامحة في هذا الشأن، أو يحكم به كل إنسان في نفوس أهل الإيمان؟ معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه، أو ينصرف إليه نظرنا فلا نزيله ولا نصرفه، فسدّوا هذا الباب سدّاً، وصدوا عنه من أمّه صدّاً، وكفوا كل ما كان من الأيدي للدماء ممتدّاً، ومن وجب عليه القتل شرعاً وتعين، واتضح موجب القصاص فيه وتبين، فليس لكم إلا القاعدة الكبرى، تتحرّى فيها الأحكام عليه بمحضر القاضي والشهود كما يجب أن يتحرّى
بعد أن يتثبت في نازلته لديكم ويستجلى ويستبرا، فلا تحل القضية إلا على بصيرة، وحقيقة مستنيرة، فقد يلوح في اليوم ما خفي بالأمس، ويتعذر بعد الإفادة إعادة النفس.
وملاك الأمر في انتقاء من يتصرف، وتولية من لا يضيم ولا يتحيف، فتخيروا للأنظار والجهات، من ترتضى سيرته من الولاة، ولا تستعملوا أهل الفظاظة والجهالة،

والمصرين على الراحة والبطالة، فإنهم إذا استرعوا أضاعوا، وإذا دعاهم شيطان الهوى أطاعوا، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا، وميلوا باختياركم إلى المتّسمين بالصلاح، المرتسمين في ديوان الكفاة النصاح، وأطيلوا مع ذلك التنقير عنهم والتنقيب، ولا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم والقريب، ومن عثرتم له على منكر من استباحة دم أو مال، وإضاعة للحقوق وإهمال، فخذلوا على يده، وجازوه بفاسد مقصده، وأنزلوه بالمنزل الأقصى، وعاملوه معاملة من أوصيَ بتقوى الله فما استوصى.

واصرفوا نظركم إلى القضاة فإن مدار الشريعة إنّما هو على ما يستند إليهم، ويقصر من الأحكام عليهم، فإذا كانوا من أهل العلم والديانة، وذوي النزاهة والصيانة، أمسكهم الورع بزمامه، وبلغ العهد بهم غاية تمامه، وإذا كانوا بضدّ هذا قبلوا الرشوة، وأوطأوا العشرة، وأطالوا النشوة، وأحلّوا من الدماء والفروج محرمها، وطمسوا من السنّة بالميل والمين معلمها، وحكموا بالهوادة والهوى، وطووا من الحق ما انتشر ونشروا من الباطل ما انطوى، فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء، وشرّ خاسرهم وجاهلهم أحق بالاتقاء، ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل، ولكن قدموهم بتورعهم في القضايا وعلمهم بالمسائل.

وممّا نؤكد عليهم فيه أمر الشهود؛ فإن شهادة الزور هي الداء العضال، والظلمة التي يتستر بها الظّلمة والضّلاّل، والحجة الداحضة التي بها يحلّل الحرام ويحرم الحلال، وقد كثر في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسدة، ونفقت بهم سوق الأباطيل الكاسدة، فتقدموا إلى القضاة وفقهم الله تعالى أن لا يقبلوا إلاّ مشهوراً بذكاء وعدل، موفوراً حظّه

من رجاحة وعقل، ومن كان مغموزاً عليه في أحواله، منبوذا بالاسترابة في شهادته وأقواله، فلتردّ شهادته على أدراجها، وليبطل ما يكون من حجاجها. وأكدوا عليهم عند تعارض العقود في الترجيح، والنظر في التعديل والتجريح، لتجري أمور المسلمين على مستوى الحقّ المستبين، وتبدو
المعدلة مشرقة الغرّة مؤتلفة الجبين.
وممّا نأمركم به أن تبحثوا عن العمال، ولا تولّوا منهم إلا الحسن الطريقة المرضيّ الأعمال، ومن لم يكن منهم جارياً على القوانين المرعية، ناصحاً لبيت المال رفيقاً بالرعية، وكان في أمانته حائداً عن الجادة السوية، قائلاً كما قال قبله ابن اللتبية، فليعوّض منه غيره، وليرفع عن الجانبين ضيره، فإنّه ما كانت الخيانة قط في شيء إلا أهلكته، ولا وضعت في إنسان طبيعة سوء إلا ملكته.
وإنّما هو مال الله تعالى الذي يرزق منه الحماة، وبه تسد الثغور المهمات، فينبغي أن يختار له محتاط في اقتضائه وقبضه، حافظ لدينه ومروءته في كلّه وبعضه، فخذوا في انتقاء هذه الأصناف المسمين، واطلبوا بهذه الأوصاف المصرفين والمولين، واجمعوا من الاجتهاد الحميد والقصد والاعتماد الأثر والعين، وأنصفوا منهم إن تظلّم من أحدهم متظلم، واشفوا شكوى كل متشك وألم كل متألم، واعلموا أن حرمة الأموال بحرمة الدماء لاحقة، وأن إحدى القضيتين للأخرى مساوية ولاحقة، ومن أكبر ما ورد في ذلك وأعظمه، قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "حرمة مال المسلم كحرمة دمه".
وليكن الناس في الحق سواء لا محاباة ولا مفاضلة، ولا مجاوزة في تغليب قوي على ضعيف ولا محاولة، إن هذه

أمتكم أمّة واحدة، وإن دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى لشاهدة، ولا يؤخذن أحد بجريرة أحد، ولا يجني ولد على والد ولا والد على ولد، فكتاب الله تعالى أولى بالإتباع وأحرى، لقول الله عزّ وجلّ "ولا تزر وازرة وزر أخرى" الأنعام: 164 اللّهم إلاّ من آوى محدثاً فإنه مأخوذ بما أجرم، ومعلون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

فارفعوا - أعاننا الله تعالى وإياكم - للعدل بكل علم مناراً، واتخذوا الرفق بالإمامة

شعاراً، فقد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلاّ شانه" وقد نصّ الكتاب والسنّة على مواضع اللين والاشتداد، ونبها على منازع المقاربة والسّداد، فلا غضب لأمر إلاّ بما غضب له الله عز وجل، ولا رضي به إلا إذا استقر فيه رضى الله تعالى وحل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم "الذي يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عزّ وجل: عبدي، لم جلدت فوق ما أمرتك به؟ فيقول: رب غضبت لغضبك، فيقول: أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي؟ ثم يؤتى بالمقصر فيقول: عبدي، لم قصرت عمّا أمرتك به؟ فيقول: ربّ رحمتهن فيقول: أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي؟" قال: فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لم يحفظه الراوي، إلا أنّه قال: صيروهما إلى النّار، أعاذنا الله تعالى منها بفضله ورحمته! فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع، ويحفظ الأصل من هذه الوصايا والفرع، واحتاطوا في الرعية فإنّه رأس المال، والأمانة التي لا ينبغي أن يكون فيها شيء من الإهمال، ومع توفيقكم لما

سطرّناه، في هذا الكتاب وشرحناه، من أبواب الخير المسعد في المآب والمآل، فاستوفوا ضروب الصالحات واستقصوها، واعملوا أعمال البر وخصوها، واذكروا آلاء الله وقصوها، "وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها" إبراهيم: 34 واشتدوا في تغيير المنكرات كلّها، واحسموا أدواءها من أصلها، ورغّبوا الناس في الطاعات واندبوهم إليها، ووضحوا لهم أعمالهم وحرّضوهم عليها، وانتهوا في كل سعي ناجح، ورأي راجح، إلى أفضل ما ينتهي إليه المنتصحون، "ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" آل عمران: 104.

وخذوا بعمارة مساجد الله التي هي بيوت الأتقياء، ومحلّ مناجاة ذي العظمة والكبرياء، إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.

ومروهم بأن يعلّموا أولادهم كتاب الله تعالى فإن تعليمه للصغار يطفئ غضب الرّب، ونعم الشفيع يوم القيامة، والمتوسل فيما يتوج القارئ وأباه تاج الكرامة، وأرشدوا للخير ما استطعتم، واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم، والله ولي التوفيق والإرشاد، والملجئ بالهداية إلى طريق الفوز والسداد.

وهذه أوامرنا إليكم امتثلنا أمر الله تعالى فامتثلوها، وأحضروها في خواطركم مع كل لحظة ومثلوها، وإنّا لما يكون منكم فيها لمستمعون، ولآثاركم فيما يوفيها لمتطلعون، وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمتنا في التذكير، ونهجنا لكم منها التقديم والتأخير، والله تعالى يعلم أنّا إنّما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب، وأردنا رضاه

فيما أوردناه من هذا الحظر والإيجاب، لنرعى حقّه سبحانه فيمن استرعانا، ونسعى في صلاح الأمّة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا.

اللّهم عبدك يضرع إليك، ويخضع بين يديك، في أن تلهمه إلى ما يجمل قصداً ومعتمداً، وتهب له من لدنك رحمة وتهيئ له من أمره رشداً، اللّهم منك المعونة على ما وليت، ولك الشكر على ما أوليت، فالمهديّ من هديت، والخير كلّه فيما قضيت. اللّهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معيناً، وأورده من توفيقك عذباً معيناً، إنّك الولي النصير، العلي الكبير.

وإذا وصلكم كتابنا هذا فقصّوه على الناس مفصلاً ومجملاً، وأظهروا مضمونه لهم قولاً وعملاً، واسلكوا بهم من مراشده سنناً مستجمله، إن شاء الله تعالى، والله سبحانه يديم علاكم، ، ويجزل حظوظكم من السعادة وأنصابكم، بمنّه وكرمه لا ربّ سواه. والسّلام الأكرم الأزكى يخصّكم، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب في الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة؛ انتهى.

وصايا الملوك:

وقال أنوشروان: الناس ثلاث طبقاتٍ، تسوسهم ثلاث سياساتٍ: طبقةٌ من خاصة الأبرار، تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقةٌ من خاصة الأشرار، تسوسهم بالغلظة والشدة، وطبقةٌ - وهم العامة - تسوسهم باللين والشدة، لئلا تحرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين.

روي إن ملكاً من ملوك اليمن أوصى من يخلفه من بعده، فقال:

أوصيتك بتقوى الله، فإنك إن تتقه يهدك ويكفك ويرض عنك، ومتى يرض رب عبد يرضه. وآمرك أن لا تعجل فيما
تخاف فيه الفوت؛ فإن العجلة مندمةٌ. وإذا شككت في أمرٍ فشاور من ينصح لك، وإن اتهمت فاستبدل، وإذا استكفيتَ فاختر، وإذا قلت فاصدق، وإذا وعدت فأنجز، وإذا أوعدت في حق فأنفذ. واعلم أنك إن ضبطت حاشيتك ضبطت قاصيتك.

وأوصى ملك من ملوك حمير أخاه، فقال:

لا تتجاوز بالأمور حدودها، ولا يكن الإفراط من شأنك في نكالٍ ولا نوال؛ فإنه في النوال يجحف ويكثر فيه عليك ،، وفي النكال ما يؤثمك ويحنق عليك ويبغضك. وإذا أنكرت نفسك فأمسك وغالب هواك، فإنه أضر ما اتبعت، واعمل بالحق فإنه لا يضيق معه شيءٌ، ولا يتعب منه عاقل، ولا يتعقب منه تبعةٌ. وليكن
خوف بطانتك منك أشد من أمنهم بك.

****

الباب الثامن عشر

وقال أبو الحسن صدقة بن الحسين الواعظ:[242]:

أوصيك يا عمّ خيراً ما استطعت فما
يبقى عليك سوى ما أنت عاملُهُ
لا المال يدفعُ بأساً إن أتاك ولا
يردّ عنك الرَّدى إن أنت فاعلهُ
فأمهد لنفسِك قبل الموت مُجتهداً
فعاجل الموتِ في التحقيق آجلهُ
هداك ربُّك للتقوى وبصَّرك الر
شاد وانزاح عن معناك باطِله

****

وقال عبدة بن الطبيب؛وهو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم من .وهي من الوصايا المأثورة وفصيح الكلام: الكامل[243]

أبني إني قد كبرت ورابني
بصري وفيّ لمصلح مستمعُ

---

[242] التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون
[243] المصدر السابق

فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا
يبقى لكم منها مناقب أربعُ
ذكر إذا ذكر الكلام يزينكم
ووراثة الحسب المتقدم تنفعُ
ومقام أيام لهن فضيلــة
عند الحفيظة والجامع تجمعُ

يقول ابن الآبار[244]

يا شَقيقَ النفسِ أوصيك وإنْ
شَقّ في الإخْلاصِ مَا تَنْتهِجُهْ
لا تَبِتْ في كَمَدٍ من كَبَد
رُبّ ضِيقٍ عادَ رَحْباً حرجُهْ
وبِلُطف اللّهِ أصْبِحْ واثِقاً
كُل كَرْبٍ فَعَلَيْه فَرَجُهْ

قال أبو النجم العجلي [245]يوصي ابنته :

أوصيكِ يا بِنتي فَإنّي ذاهِبُ
أوصيكِ أَن تَحمَدُكِ القَرائِبُ

---

[244] ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، ولد سنة 1199م ، وتوفي سنة 1260 م ، من أعيان المؤرخين ، أديب من أهل بلنسية بالأندلس ، ومولده بها ، رحل عنها لما احتلها الإفرنج واستقر في تونس ، وقُتل في تونس على يد المستنصر .

[245] أبو النجم العجلي : ولد عام 130 هـ وتوفي عام 737 م ، هو الفضل بن قدامه العجلي من بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجاز ، ومن أحسن الناس إنشادا للشعر ، نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام .

وَالجارُ وَالضَيفُ الكَريمُ الساغِبُ
لا يُرجَعُ المِسكينُ وَهوَ خائِبُ

قال الحبسي[246]:

أُوَصِّيك لا تغتبْ من الناس مسلماً
إذا كان ممن يُحسِن الدينَ والصُّنعا
ولا تمدحنَّ النفس في الناس فاخراً
وخفْ يومَ تجْزَى كل نفسٍ بما تسعى
فلم يرفعنَّ المرءُ بالمدح نفسَه
مع الناس إلا زاده وقعُه وضعا
لعمرك إن تمدَحْ وإن كنتَ صادقا
لظنوكَ أَفَّاكَا وقيل احذروا الخدْعا
وإياكَ والماشين بالشر إنهم
لقد يدخلونَ مدحك الإبرة الخُدِعْا
ولا تصحبنْ عبداً يخون أمانة
ولا تُصْلِحنْ بين اللئامِ ولو تُدعى
لقد أمن المولى من الخوف عبدَه
وقد حُمِّلَ العبدُ الأمانة فلْيرعى
وكن زارعا زرعَ التصَبُّرِ واسْقِه
بماء بحورِ العلم كي تحصد الزرعا
وخالفْ هوى الحوْبا وداوِ ذنوبَها
بإخلاص تَوْبٍ وادفعنْ داءَها دفعا

---

[246] هو راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي العماني ، شاعر مجيد ، من أهل عُمان ، ولد في عين بني صارخ ، من قرى (الظاهرة) ، من عُمان ، عمي في طفولته ، ولد عام 1678م ، وتوفي عام 1737م .

ومَنْ زادُه التقوى زمانَ حياتهِ
نمتْ معه الأموالُ والماءُ والمرعى
تأمَّل ومن كان اليقينُ لباسَه
يكنْ من سيوفِ الحادثات له دِرعا
ومنْ يكن الرأي المضِلُّ دليلَه
فلم يسْتِطعْ نصحا ولم يستطع سمعا
كفى الموتُ وعظا إنه كلُّ عاقلٍ
إذا ما رأى الأمواتَ ضاق بهم ذرعا
فواعجبا ممن يحدِّثُ نفسَه
بموتته يوماً ولم يسكب الدمعا

وقال اللواح [247] :

والوالدين فقد أَوصيك برهما
فاغضب إِذا غضبا واصفح إِذا صفحا
رضاهما من رضى الباري علَيك فإِن
تغضبهما تلَق من إِغضابك الترحا
واطلب العلم لو بالصين مجتهداً
وأغمض عليه بعقل راسب رزحا

[247]) اللواح: سالم بن غسان بن راشد بن عبد الله بن علي اللواح ، ولد في قرية ثقب عام 1457م ، وتوفي عام 1514م ، قرأ القرآن بقرية الهجار من وادي الخروص ، ثم رحل في طلب العلم إلى نزوى وأخذ الفقه والأدب .

وأَول العلم تعليم القرآن ففي
تعليمه كل منهاج الهدى وضحا
فاحرص عليه ولا تضجر وكن فهما
وللمعلم كن عبداً وكن سمحا
إِن المعلم لم ينصح بغير رضى
واعلم بأنك إِن أَرضيته نصحا
وإِن ختمت فجوِّده لتحفظه
ورابط الدرس في وقتي مسا وضحى
والزم جماعة بيت الله مرتقباً
فيه الفروض وخل الدَمع منسفحا
واقصد لمطلب علم الطب حيث به
يُقوم العقل ذو التكليف والسبحا
وخذ من النحو ما يكفي وخذ لغة
كيما تكون فصيحا مدره الفصحى
ثم الأُصول أُصول الدين ثم تخذ
أَصل الفُروع وفرع الأَصل منشرحا
وما بقي من علوم ما استطعت فخذ
ولا تَكُن ضجراً منها وَلا طلحا

وكن بأَهل التُقى والعلم مقترناً
وَعن آلي الجهل صاري الحبل منتوِحا

صاحب أَخا العلم والتقوى وكن فهما
فيما يفيدك وأحفظ كل ما شرحا

أَهل العلوم نجوم يستضاء بها
إِذا تراكم ليل الجَهل وانسدحا

تلقى بناديهم الخيرات حاضرة
والعقل والنور والبرهان والمنحا

كن منهم حيثما كانوا على ثقة
واقطع سواهم وخذ في الوزن ما رجحا

فالمرء يحشر مع من قد أَحب فكن
في الصالحين تلاقي اللهَ مصطلحا

فكل مقرّب لِلّه مقترب
منهم ومنتزح عنهم فقد نزحا

وقيل إِن قرين المرء يشبهه
فاختر لنفسك إِن وفقت ما صلحا

إِن الحليم إِذا صاحبته نفحت
لك الخلائق منه كالكبا نفحا

وذو اللامة إِن صافيته كدرت
أَخلاقه وإِذا حسنته قبحا

عادي الحليم ولا تصحب أَخا حمق
هيهات ما السفهاء الحمقى كالصلحا

لا تأمن الأحمق الطياش نصحته
كم منه دارت على رأس الصديق رحا

من يصحب الأَحمق الثرثار غودر في
بحر من الجهل يغرقه ولو سبحا

واحذر أَخوّة من لو شئت نصحته
عن جهله لم يحد كن عنه منتزحا

إِن البضاعة لم تُجلب لموسمها
إِلا لانفاقها أَو ربُّها ربحا

وعز نفسك عما فات مطلبه
ولا تكن بنمو المقتنى فرحا

وَإِن قدرت على خير لتفعله
أَسرع وخالف هو الشيطان والبرحا

وإِن تعرض باب الشر منغلقاً
دعه وَأَغلقه إِن لاقاكَ مفتتحا

وإِن تودعتَ أسرارا فكن أُذنا
صماء ما سمعت في الحال ما شرحا

وَإِن قعدت بناد كن به جبلا
وإِن دعتك الورى كن بارقاً لمحا

وَإِن سكت فكن ذا فكرة وإِذا
نطقت فليبد منك المنطق الملحا

وقد يقال كلام المرء نسبته
إِن الإِناء بما في بطنه رشحا

ولاق ضيفك طلق الوجه مبتسماً
ولو تعبَّس وجه الدهر مكتحلا

فللكريم خلال يستدل بها
إِن سيل أَعطي ولم يمنن إِذا سمحا

واصبر على غصص الدنيا وكن جلدا
كم عارض قبل ما يسقي أمحى وصحا

إِني امرؤ قد عرفت الدهر معرفة
أَكلاً وشرباً ومسموعا وملتمحا

وقد حلبت من الأَيام أَشطرها
وقد قدحت زناد الدَهر فاقتدحا

فكدت أَعلم ما كنت ضمائرهم
ولو أَردت بها التصريح لانصرحا
دنياهم ميتة قد شمتُها بَرَكَت
وَخيرهم فهو كلب حولها نبحا

فاستعن باللهَ عنهم هبه متكلا
عليه تنجح ويا فوز امرئ نجحا

وقد نصحتك يا بر الفؤاد وكم
من ناصح كان أَولى منك لو نُصحا

أَهداك أَعمى ومنهاج الهدى وضحا
فطاح في هوة الاضار وافتضحا

يا رب عفوك أَجري غير منسمح
إِلا بلطفك يغدو الأَمر منسمحا

فاصفح عن المذنب الجاني فأنت به
أَولى وَأَجدر من أَعطى ومن سمحا

المعولي العماني[248] :

أُوصيكَ لا تصحبْ فتىً
ينحو إلى طلب المثالبْ

واختر لنفسك صاحباً
حُرّاً كريماً ذا مراتبْ

فطناً لبيباً صادِقاً
نَدْباً حليماً ذا تجاربْ

لا يستبدُّ برأْيه
أبداً يُشَاوِرُ في النوائبْ

فمن استبدَّ برأْيه
لا زالَ يأتي بالعجائبْ

لا شكَّ ذلك أحمقٌ
فالبُعدُ منه عليك واجبْ

فالحُمق داءٌ لا دواءَ
له فأَهْمِلْهُ وجانبْ

---

[248] المعولي العُماني : محمد بن عبد الله بن سالم المعولي ، أحد أعلام الشعر العمانيين الخالدين ، عاش في أواخر القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر الهجري ، وقد كان المعولي يملك موهبة شعرية قوية وملكة لغوية ، قادرة على التعبير عن عواطفه ومشاعره ، ووعى كل الثقافات الإسلامية والعربية في عصره بشعره البليغ.

كالبالِ إن رَقَّعْتَهُ
من جانبٍ ينحلُّ جانبْ

أتعبتَ نفسك إن تصا
حب صاحباً أعمى المذاهبْ

لا زالَ يلقى نفسه
بين المتآلف والمعاتب

يُسْدِى ويُلْحِمُ ساكناً
طرق المخاوف والمتاعِبْ

يُمسى ويُصبح في المضيقِ
ودمعُه في الخَدِّ ساكبْ

لا يَرْعَوِى عن جهله
ويقول ما قد خَطَّ صائبْ

ليس التطبُّعُ ثابتاً
كالطبعِ إن الطبعَ لازبْ

إن لم يُؤَدَّبْ فهْوَ باخِعُ
نفسِه والطبعُ غالبْ

ما ضَرَّهُ لو أنَّهُ
من ذنبه أن جاءَ تائبْ

فلعلَّ ربِّ العرش يق
بَلُ توبة العدلِ المواظبْ

فهو الرحيم بخَلْقِه
ولخلقِه جَمُّ المواهبْ

فارجوه في العُقْبَي فمن
يرجو سواه فهو خائبْ
وعليك بالتقْوَى فتقْوَى
الله من خير المكاسبْ
وتعلّم القرآنَ وادرُسْه
وأكرمْه وواظبْ
فهو الصراطُ المستقيمُ
ودرسُه خير المآدِبْ
والنحوَ لا تُهْمِلْهُ فهْوَ
أساسُ كل بيانِ كاتبْ

وقال أيضا:
ثلاثٌ تزيد المرءُ نوراً وحكمةً
أَلا إنّني أُوصيكَ مِنها فكثِّرِ
قراءَةُ قرآنٍ وطولُ تفكرٍ
وثالثُها ذكرُ الإله المصوِّرِ

وقال خليل مطران [249] :

يَا ابْنَ لُبْنَانَ عُدْ إِلَى لُبْنَانِ
نَازِلاً مِنْهُ فِي أَعَزِّ مَكَانِ

مِصْرُ تُهْدِي إِلَيْهِ مضنْ هُوَ أَهْدَا
هُ إِلَيْهَا تَهَادِيَ الخُلْصَانِ
لَيْسَ بِدْعاً وَفِي القُلُوبِ صَفَاءٌ
مَا يُرَى مِنْ تَقَارُضِ الجِيْرَانِ
سَاءَ هِجْرَانُكَ الرِّفَاقَ وَلَكِنْ
لَيْسَ بَيْنَ القُطْرَيْنِ مِنْ هِجْرَانِ
وَطَنٌ وَاحِدٌ وَتَجْمَعُهُ الضَّاد
ُ لِمَغْزًى فِي لَفْظَةِ الأَوْطَانِ
فَتَيَمَّمْ تِلْكَ الرُّبَى وَالقَ مَنْ نَمْ
حَضُهُمْ وُدَّنَا مِنَ الإِخْوَانِ
وَاسْتَزِدْهُمْ مَا تُسْتَزَادُ قُوَاهُمْ
مِنْ تَبَارٍ فِي حُبِّهَا وَتَفَانِ
لا يَكُنْ بَيْنَكُمْ لِخِدْمَتِهَا غَيْرُ
الوَفِيِّ السَّمَيْذَعِ المِعْوَانِ
فَزِعَتْ أُمَّةٌ إِلَيْكِ فَنُبَ عَنْهَا
وَقَرِّبْ لَهَا بَعِيدَ الأَمَانِي

---

[249] خليل بن عبده بن يوسف مطران ، ولد في بعلبك (لبنان) وتعلم في المدارس البطريركية ببيروت ، وسكن مصر ، فتولى تحرير جريدة الأهرام المصرية وبعدها جريدة الجو ائب المصرية يومية ناصر بها مصطفى كامل باشا في حركته الوطنية واستمر أربع سنوات ، لُقب بشاعر القطرين ، وكان يشبه بالأخطل بين حافظ وشوقي ، وشبهه المنفلوطي بابن الرومي.

وَابْتَغِ الخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ سَبِيلاً
وَاحْمِ ذَاكَ الحِمَى مِنَ العُدْوَانِ
وَتَوَخَّ الرَّأْيَ السَّدِيدَ عَلَى مَا
دُونَ تَسْدِيدِهِ الضَّمِيرُ يُعَانِي
ذَاكَ حَوْضٌ فِدَاهُ كُلُّ نَفِيسٍ
فَافْدِهِ بِالفُؤَادِ قَبْلَ اللِّسَانِ
كَافِحِ الخَصْمَ دُونَهُ وَادْرَأِ البَاطِلَ
عَنْهُ بِقُوَّةِ البُرْهَانِ
رُبَّ قَوْلٍ يُصَاغُ مِنْ ذَوْبِ قَلْبٍ
صَهَرَتْهُ حَرَارَةُ الإِيمانِ
لَسْتُ أُوصِيكَ كَيْفَ يُوصَى حَكِيمٌ
وَلَهُ دَانَ ذَانِكَ الأَصْغَرَانِ
فَإِذَا مَا أَتَيْتَ بَيْرُوتَ وَاسْتَشْرَفْتَ
آيَاتِ حُسْنِهَا الفَتَّانِ
فِي جِنَانٍ لَعَلَّهَا الصُّورَةُ الصُّغْرَى
تَرَاءَتْ لِخَالِدَاتِ الجِنَانِ
فَتَفَقَّدَ سَفْحاً فَخُوراً تَوَارَى
تَحْتَ حَانٍ مِنْ سَرْحِهِ شَاعِرَانِ
لاحِقٌ بَعْدَ سَابِقٍ وَهُمَا فِي السِّنِّ
تِرْبَانِ وَالحِجَى نِدَّانِ
كَابَدَا فِي الحَيَاةِ مَا كَابَدَاهُ
وَاسْتَقَرَّا يُدْنِيهِمَا الرَّمْسَانِ
حَيِّ إِلْيَاسَ حَيِّ طَنْيُوسَ حَيْثُ الأَلْمِعِيَّانِ
فِي الثَّرَى جَارَانِ
وَابْتَعِثْ خَافِقَيْهِمَا مِنْ سُكُونٍ
بَعْدَ صَوتٍ دَوَّى بِهِ الخَافِقَانِ

ثُمَّ رَوِّحْهُمَا بِنَافِحَةٍ مِنْ
رَوْضِ مِصْرَ زَكِيَّةِ الأَرْدَانِ
قُلْ وَحَقِّ الوَفَاءِ لَسْنَا بِسَالِيْنَ
وَمَا وَحْشَةٌ سِوَى السُّلْوَانِ
فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِنَا عَنْ
كُمَا رَجْعاً بِهِ فِي نوَاكُمَا تَأْنَسَانِ
شَدَّ مَا نَحْنُ وَاجِدُونَ مِنَ التَّبْرِيحِ
هَلْ مِثْلَ وَجْدِنَا تَجِدَانِ
أَبِقَلْبَيْكُمَا مِنَ الشَّوْقِ بَاقٍ
فَاشْفِيَاهُ بِدَمْعِنَا الهَتَّانِ
يَا نِقُولا عِشْ لِلْفَصَاحَةِ وَالشِّعرِ
وَلِلْعِلْمِ وَالحِجَى وَالبَيَانِ
لا حُرِمْنَا أَنْوَارَ مِرْقَمِكَ الهَادِي
وَأَنْغَامَ صَوْتِكَ الرَّنَّانِ

وقال ابن علوي الحداد [250] :

ومن يطع الهادي أطاع إلهه
ومن يعصه يعص الإله ويمقت

[250] عبد الله بن علوي بن محمد الحضرمي ، المعروف بالحداد ، من " حضر موت" مولده في السير ، من ضواحيها ، كان كفيفا ، ذهب الجدري ببصره طفلا ، له رسائل وكتب منها : "عقيدة التوحيد" ، "الدعوة التامة والتذكرة العامة" ، وجمع تلميذه أحمد بن عبد الكريم الشجار الاحسائي ، طائفة من كلامه في كتاب سماه " تثبيت الفؤاد"

وآل رسول اللَّه بيت مطهر

محبته مفروضة كالوارد
هم الحاملون السر بعد نبيهم
ووراثه أكرم بها من وراثة
وأصحابه الغر الكرام أئمة
مهاجرهم والقائمون بنصرة
نجوم الهدى أهل الفضائل والندى
لقد أحسنوا في حمل كل أمانة
ولا تعد عنهم إنهم مطلع الهدى
وهم قد بلغوا علم الكتاب وسنة
فما بعد هدي المصطفى وصحابه
هدى ليس بعد الحق إلا الضلالة
وكم قانت قوام في غسق الدجى
من الخوف محشو الفؤاد ومهجة
يناجي بآيات القرآن إلهه
بصوت حزين مع بكاء بعبرة
وكم ضامر الأَحشاء يطوي نهاره
بحر هجير ما تهنا بشربة
وكم مقبل في ليله ونهاره
على طاعة المولى يجد وهمة

وكم زاهد في هذه الدار معرض
ومقتصر منها على حد بلغة
تزينت الدنيا له وتزخرفت
فغض ولم يغتر منها بزينة
وكم معرض عن صحبة الخلق موثر
لوحدته والانقطاع وعزلة
وكم عالم بالشرع ناه عن الردى
بموجبه في حال يسر وعسرة
بهم يدفع اللّٰه البلايا ويكشف الرَزايا
ويبدي كل خير ونعمة

ولولاهم بين الأنام لدكدكت
جبال وأرض لارتكاب الخطية
أيا صاحبي والنصح دأبي ومذهبي
على به أخذ العهود الأكيدة
ألا فالق سمعاً واعياً لقبول ما
أشير به تحمد أخي مشورتي
عليك بتصحيح الأساس الذي هو
اليقين وروح الدين من غير مرية
فمن علمه إن صح صحت لك
الحقيقة من إيمانك العلمية
ومن حقه أن حق حقت لك
الحقيقة من إحسانك المعنوية
مقاماته تسع عليك بحفظها
وأحكامها وأبدأ بتصحيح توبة
وخوف ونعم الخوف للعبد سائق
ونعم الرجا من قائد للسعادة

وصبر جميل عند كل بلية
وأمر ونهي أو ركون لشهوة
وشكر على النعمى برؤية منعم
وصرف الذي أسداه في سبل طاعة
وصحح مقام الزهد فهو العماد والت
وكل وهو الزاد في خير رجلة
وحب إله العالمين مع الرضا
بكل الذي يقضيه في كل جالة
وجاهد تشاهد واغنم الوعد بالهدى
هدى نصه في العنكبوت بآية
وحافظ على المفروض من كل طاعة
وأكثر من النفل المفيد لقربة
بكتت له سمعاً إلى آخرِ النبأ
عن الله في نص الرسول المثبت
وجانب هديت النهى من كل جانب
ونطق على حد اقتصار وقلة
وجالس كتاب الله واحلل بساحه
وكن ذاكراً فالذكر نور السريرة
عليك به في كل حيل وحالة
وبالفكر إن الفكر كحل البصيرة

وكن أبداً في رغبة وتضرع
إلي الله عن صدق افتقار وفاقة
ووصف اضطرار وانكسار وذلة
وقلب طفوح بالظنون الجميلة
وحقق طريق القوم واعلم أصولهم
وكل اصطلاح بينهم في الطريقة

كفرق وجمع والحضور وغيبة
وصحو ومحو وانفصال ووصلة
ولا بد من شيخ تسير بسيره
إلى اللَّه من أهل القلوب الزكية
من العلماء العارفين بربهم
فإن لم تجد فالصدق خير مطية
وبعد فإن الحق أفضل مسلك
سلكت وتقوى اللَّه خير بضاعة
ومن ضيع التقوى وأهمل أمرها
تغشته في العقبى فنون الندامة
ومن كانت الدنيا قصارى مراده
فقد باء بالخسران يوم القيامة
ومن لم يكن في طاعة اللَّه شغله
علي كل حال لا يفوز ببغية
ولا ينشق الفياح من طيب حضرة
الوصال إذا هبت نسيم العناية
ومن أكثر العصيان من غير توبة
فذاك طريح في فيافي الغواية
بعيد عن الخيرات حل به البلا
وواجهه الخذلان من كل وجهة
عجيب لمن يوصي سواه وإنه
لأجدر منه بإتباع الوصية

يقول بلا فعل ويعلم عاملاً
على ضد علم يا لها من خسارة
علوم كأمثال البحار تلاطمت
وأعماله في جنبها مثل قطرة

وقد أنفق الأيام في غير طائل
كمثل الليالي إذا تقضت وولت
على السوف والتسويف شر مصاحب
وقول عسى عن فترة وبطالة
ينكب عجزاً عن طريق عزيمة
ومالٌ لتأويل ضعيف ورخصة
يهم بلا جد وليس بناهض
على قدم التشمير من فرط غفلة
وقد سار أهل العزم وهو مثبط
وقد ظفروا بالقرب من خير حضرة
وقد نالوا المطلوب وهو مقيد
بقيد الأماني والحظوظ الخسيسة
ولم ننتهز من فائت العمر فرصة
ولم يغتنم خالي فراغ وصحة
ولم يخش أن يفجأه موت مجهز
فإن مجيء الموت غير مؤقت
ولم يتأهب للرجوع لربه
ولم يتزود للطريق البعيدة
وبين يديه الموت والقبر والبلا
وبعث وميزان وأخذ الصحيفة
وجسر على متن الجحيم وموقف
طويل وأهوال الحساب المهولة
ولكنه يرجو الذي عم جوده
وإحسانه والفضل كل الخليقة
إله رحيم محسن متجاور
إليه رجوعي في رخائي وشدتي

قال أبو حامد الغزالي[251] :

نصحتك جهدي أن قبلت فلا تكن
على حكم غشي حاملاً لنصيحة
وعابـة مقدوري فقلت وإنمـا
قبولك مما ليس في وسعد قدرتي
وهل ممكن إسعاد من كل قد جرى
له قلم في اللوح يوماً بشقـوة
يظن الفتى لذات دنياه نعمـة
ومـا هي إلا نقمـة في الحقيقـة
ويبلغ منه الجهل ما ليس يبلغ
العدو بحد السيف عند الحضيضة
ونفسك فأحفظها وصنها فإنما
سعادتها فـي فعل كـل مشقـة
وخالف هواها ما استطعت فأنه
عدو لهـا يبغي لها كل نكبـة
لعمري لقد أنذرت إنذار مشفق
وجاوزت في الإيضاح حد الوصية
فقم واسع وانـهض واجتهد وابغ مطلقاً
بداك على ما فيك شر صنيعة

---

[251]) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ولد عام 1058م وتوفي 1160م ، حجة الإسلام ، فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران بخرسان ، نسبته إلى صناعة الغزل ، من أشهر كتبه " إحياء علوم الدين " " تهافت الفلاسفة "- رد عليه الفيلسوف ابن رشد بكتاب " تهافت التهافت "- ، "معارج القدس في أحوال النفس" "مقاصد الفلاسفة"....

فإنك من نور مضيء وكظلمـة
بمـا فيك من جسم ونفس نفيسة
فإنك من نور مضيء وكظلمـة
بمـا فيك من جسم ونفس نفيسة
بمرآة نفس لاح في صقالـها
المقـابـل للكونين كـل حقيقـة
ولم يبق عندي ريبة في الذي استراب
منه أناس في أمور كثيرة

فألقت عصاها النفس مني وأيقنت
بأن سفرت عن وجه نجعي سفرتي
يدل على مـا قلته حالة الكـرى
إذا ركـد الإحسـاس منك برقـدةٍ
فما شفيت نفس أطاعتـه رهبة
ومـا سعدت نفس عصته لرغبـة
ولكن بنور العلم تسلم هذه
وتعطب جهلاً تيـك أقبـح عطبـه
فيا عجباً ممـن يروم لنفسـه
خلاصاً ولم يرغب بها عن جريرة
ومن تائب من ذلة لا ترى لـه
دمـوع كأفواه الغمـام المكبـة

وما وصلت نفس إلى عالم الصفا
بما دون تحصيل العلوم الجلية
وتمييزها عن نوعهـا بمعـارف
يروجـها في عالم البشريـة

وقد يملأ الإناء فيمتلئ
به الماء حتى لا مزيد لقطرة
يموت الفتى بالجهل من قبل موته
ويحيى بروح العلم من بعد ميتة
فما مات حي العلم يوماً ولم يكن
بحي ممات الجهل مقدار لحظة
وبالعلم بالنفس النفيسة يدرك
المحصل فهم العلة الأولية
ومن لم يحط علماً بذاك فإنه
وإن كان حيا حكمه حكم ميت

قال حسان بن ثابت[252]:

وَاللّهِ ما أَوصى أُمَيَّةُ بِكرَهُ
بِوَصِيَّةٍ أَوصى بِها يَعقوبُ
كانَ الوَصِيَّةَ إِذ تَوَلّى غادِياً
غَدرُ الجِوارِ لَدى الإِلَهِ وَحوبُ
أَبَنِيَّ إِن حاوَلتُمُ أَن تَسرِقوا
فَخُذوا مَعاوِلَ كُلَّهُنَّ صَليبُ

---

[252] حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري توفي سنة 50 للهجرة شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة المنورة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام ، وعمي قبل وفاته. قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمانيين في الإسلام . وقال المبرد في الكامل : اعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم : سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .

فَأتوا بُيوتَ الناسِ مِن أَدبارِها
حَتّى تَظَلَّ وَكُلُّهُنَّ مَجوبُ
إِنّي حَفِظتُ وُصاةُ مَن هُوَ عالِمٌ
لَمّا عَلَتني كَبرَةٌ وَمَشيبُ
قالَ اِبنُهُ لِبَني بَنيهِ وَرَهطِه
إِنّـي بِما أَوصى أَبي لِطَبيـبُ

أَوصاهُمُ بِالكُفرِ عِندَ مَماتِهِ
وَتَأَلّفَ الإِشراكُ وَالتَكـذيبِ

قال هدبة بن خشرم[253]:

أَقِلّي عَليَّ اللَومَ يا أُمَّ بَوزَعا
وَلا تَجزَعي مِمّا أَصابَ فأَوجَعا
فَلا تَعذُليني لا أَرى الدَهرَ مُعتِباً
إِذا ما مَضى يَومٌ وَلا اللَومَ مُرجِعا
وَلَكِن أرى أَنَّ الفَتى عُرضَةُ الرَدى
وَلاقي المَنايا مُصعِداً وَمُفَرِّعا

---

[253] هدبة بن الخشرم : هو هدبة بن الخشرم بن كُرز ، من بني عامر بن ثعلبة من سعد من قضاعة . شاعر جاهلي ، فصيح من قبيلة عذرة ، وأمه شاعرة هي (حية بنت أبي بكر بن أبي حية) وقد سماها التبريزي (ريحانة) ، وليس في المصادر الكثير عن حياته وشعره ، إلا ما كان بينه وبين ابن عمه (زيادة) من المقاتلة التي أفضت إلى سجنه وقتله ، وكان أول ما أثار الخصومة بينه وبين ابن عمه زيادة بن زيد مراهنة بين حوط بن خشرم التي جرّت الحرب بين القبيلتين . ثم ما ارتجزه وأفحش به زيادة في أخت هدبة ، ثم ردّ عليه هدبة بالفحش بأخت زيادة ، ثم تقاتلا فقتل هدبة زيادة ، فقبض عليه وسجن ثم حكم بتسليمه إلى أهل المقتول ، ليقتصوا منه ، فقتلوه أمام والي المدينة .

وأَنَّ التُقى خَيرُ المَتاعِ وإِنَّما
نَصيبُ الفَتى مِن مالِهِ ما تَمتَّعا
فأوصيكِ إِن فارقتِني أُمُّ عامِرٍ
وَبَعضُ الوَصايا في أَماكِنَ تَنفَعا
وَلا تَنكَحي إِن فَرَّقَ الدَهرُ بَينَنا
أَغَمَّ القَفا والوَجه لَيسَ بأَنزَعا

مِنَ القَومِ ذا لَونَينِ وَسَّعَ بَطنَهُ
وَلَكِن أَذًّيـاً حِلمُـهُ ما تَوَسَّعـا
كَليلاً سِوى ما كانَ من حَدِّ ضِرسِهِ
أُكَيبِدَ مِبطانَ العَشيّاتِ أَروَعا
ضَروباً بِلَحَييهِ عَلى عَظمِ زَورِهِ
إِذا القَومُ هَشّوا لِلفَعالِ تَقَنَّعا
وَلا قُرزُلاً وَسطَ الرِجالِ جُنادِفاً
إِذا ما مَشى أَو قالَ قَولاً تَبَلتَعا
وَكوني حَبيباً أَو لأَروَعَ ماجِدٍ
إِذا ظَنَّ أَوباشُ الرِجالِ تَبرَّعا
وَصولٍ وَذي أَكرومَةٍ وَحَميَّةٍ
وَصبراً إِذا ما الدَهرُ عَضَّ فأَوجَعا

وَأُخرى إِذا ما زارَ بَيتَكِ زائِرٌ
زِيالَكِ يَوماً كانَ كالدَهرِ أَجمَعا
سأَذكُرُ مِن نَفسي خَلائِقَ جَمَّةً
وَمَجداً قَديماً طالَما قَد تَرفَّعا

فَلَم أَرَ مِثلي كـاويـاً لِـدَوائِـهِ
وَلا قاطِعاً عِرقاً سَنونـاً وأَخدَعـا
وَما كُنتُ مِمَّن أَرَّثَ الشَرَّ بَينَهُم
وَلا حينَ جَدَّ الشَرُّ مِمَّن تَخَشَّعا
وَكُنتُ أَرى ذا الضِغنِ مِمَّن يَكيدُني
إِذا ما رآني فاتِرَ الطَرفِ أَخشَعا

*****

<u>وأوصى أبو قيس بن صرمة الأنصاري ولده عند موته</u>
فقال من الخفيف:

يا بنيّ، الأرحام لا تقطعوها
وصلوها قصيرةً من طوال
واتّقوا الله في ضعاف اليتامى
ربّما يستحلّ غير الحلال
اعلموا أنّ لليتيم وليّاً
عالماً يهتدي بغير السّؤال
يا بنيّ، الأيّام لا تأمنوها
واحذروا مكرها وكرّ اللّيالي
واعلموا أنّ مرها لنفاد الخلق
ما كان من جديدٍ وبال
واجمعوا أمركم على البرّ والتقوى
وترك الخنا وأخذ الحلال

كنا بنسمع دايما عن وصية الأعرابية لبنتها يوم زفافها
مش الزوجة هى بس المطلوب منها مراعاة طبع الرجل
ومحاولة ارضاءه وحسن عشرته
الرسالة دى موجهة للرجال
وصية ابن حنبل لابنه يوم زواجه
****

أي بني: إنك لن تنال السعادة في بيتك إلا بعشر خصال تمنحها لزوجك فاحفظها عني واحرص عليها:
أما الأولى والثانية لأهميتها
.فإن النساء يحببن الدلال ويحببن التصريح بالحب، فلا تبخل على زوجتك بذلك ,فإن بخلت جعلت بينك وبينها حجابا من الجفوة ونقصا في المودة.
وأما الثالثة :
فإن النساء يكرهن الرجل الشديد الحازم ويستخدمن الرجل الضعيف اللين فاجعل لكل صفة مكانها فإنه أدعى للحب وأجلب للطمأنينة.
وأما الرابعة :
فإن النساء يحببن من الزوج ما يحب الزوج منهن من طيب الكلام وحسن المنظر ونظافة الثياب وطيب الرائحة فكن في كل أحوالك كذلك.
أما الخامسة :
فإن البيت مملكة الأنثى وفيه تشعر أنها متربعة على عرشها وأنها سيدة فيه ,فإياك أن تهدم هذه المملكة التي تعيشها، وإياك أن تحاول أن تزيحها عن عرشها هذا، فإنك إن فعلت نازعتها ملكها، وليس لملك أشد عداوة ممن ينازعه ملكه وإن أظهر له غير ذلك.
أما السادسة :

فإن المرأة تحب أن تكسب زوجها ولا تخسر أهلها، فإياك أن تجعل نفسك مع أهلها في ميزان واحد، فإما أنت وإما أهلها، فهي وإن اختارتك على أهلها فإنها ستبقى في كمد تنقل عدواه إلى حياتك اليومية.

والسابعة :

إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وهذا سر الجمال فيها، وسر الجذب إليها وليس هذا عيبا فيها "فالحاجب زينه العوج ,"فلا تحمل عليها إن هي أخطأت حملة لا هوادة فيها تحاول تقييم المعوج فتكسرها وكسرها كطلاقها، ولا تتركها إن هي أخطأت حتى يزداد اعوجاجها وتتقوقع على نفسها فلا تلين لك بعد ذلك ولا تسمع إليك، ولكن كن دائما معها بين بين.

أما الثامنة :

فإن النساء جبلن على كفر العشير وجحدان المعروف، فإن أحسنت لإحداهن دهرا ثم أسأت إليها مرة قالت: ما وجدت منك خيرا قط، فلا يحملنك هذا الخلق على أن تكرهها وتنفر منها، فإنك إن كرهت منها هذا الخلق رضيت منها غيره.

أما التاسعة :

فإن المرأة تمر بحالات من الضعف الجسدي والتعب النفسي، حتى إن الله سبحانه وتعالى أسقط عنها مجموعة من الفرائض التي افترضها في هذه الحالات فقد أسقط عنها الصلاة نهائيا في هذه الحالات وأنسأ لها الصيام خلالهما حتى تعود صحتها ويعتدل مزاجها، فكن معها في هذه الأحوال ربانيا كما خفف الله سبحانه وتعالى عنها فرائضه أن تخفف عنها طلباتك وأوامرك.

أما العاشرة :

فاعلم أن المرأة أسيرة عندك ,
فارحم أسرها وتجاوز عن ضعفها تكن لك خير متاع
وخير شريك.

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سورة يونس ، الآية 10

أهم المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم.
2) صحيح البخاري.
3) صحيح مسلم .
4) وصايا الخلفاء والأمراء السياسية والإدارية في العصر العباسي الأول ، محمد جاسم الحديثي .
5) تاريخ الخلفاء ، الحافظ جلال الدين السيوطي .
6) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون .
7) أروع ما قيل من الوصايا ، إميل ناصيف.
8) معجم البلدان ، ياقوت الحموي .
9) جمهرة وصايا العرب ، محمد الدليمي.
10) المعمرون والوصايا.
11) رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد .
12) جمهرة خطب العرب، محمد الديلمي.
13) حياة الصحابة ، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي.
14) أمالي القالي ، أبو علي القالي.
15) تاريخ الوصايا ، فرج محمود أبو ليلى .
16) البيان والتبيين، الجاحظ .
17) التاريخ الإسلامي ، د. حسن إبراهيم .
18) الإصابة في تميز الصحابة ،
19) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله .
20) الوصايا الإسلامية ، سناء ناجي المصرف.
21) شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

22) عيون الأخبار،ابن قتيبة
23) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا.
24) أدب الدنيا والدين ، علي بن محمد البصري الماوردي .

25) الوصايا في الأدب العربي القديم ، د. سهام الفريح.

26) لباب الأدب ، أسامة بن منقذ .
27) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، الأعلم الشنتمري.
28) كتاب الأغاني، للأصفهاني .
29) الأعلام ، الزركلي.
30) إلى ولدي ، احمد أمين،
31) من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني.
32) جواهر الأدب، د. أحمد الهاشمي.
33) العقد الفريد ، أحمد بن عبد ربه .
34) المنجد في اللغة ، دار الشروق.
35) السيرة النبوية ، لابن هشام .
36) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير .
37) المستطرف، شهاب الدين محمد بن حجر الأبشيهي.
38) لسان العرب ، لابن منظور.
39) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.
40) سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي .

فهرس الموضوعات

الإهداء

المقدمة

الباب الأول
وصايا القرآن الكريم

الباب الثاني
وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث

الفصل الأول
الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الفصل الثاني
وصايا الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الباب الرابع

الفصل الأول
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الفصل الثاني
وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عثمان بن عفان رضي الله عنه

وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وصايا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

معاوية بن أبي سفيان

وصايا معاوية بن أبي سفيان

مروان بن الحكم

وصايا مروان بن الحكم

عبد الملك بن مروان

وصايا عبد الملك بن مروان

أبو جعفر المنصور

وصايا أبو جعفر المنصور

وصايا الحكماء

وصايا الآباء للأبناء

الباب الثالث عشر
وصايا النساء

الباب الرابع عشر
وصايا الخلفاء لمؤدبي أولادهم

الباب الخامس عشر
وصايا متفرقة

الباب السادس عشر
من أوصى بشر عند موته وذكر قساوة قلبه

الباب السابع عشر
وصايا الملوك

الباب الثامن عشر
وصايا شعرية